

لا إله إلا الله - محمد رسول الله

سلسلة

معالم الإسلام

١

معالم الحقيقة الإسلامية

تأليف

محمود عبد الرحمن عبد المنعم
المدرس المساعد بجامعة الأزهر

دار نهر النيل
للطباعة والنشر والتوزيع

لا إله إلا الله - محمد رسول الله

سلسلة

معالم الإسلام

١

معالم الحقيرة الإسلامية

تأليف

محمود عبد الرحمن عبد المنعم
المدرس المساعد بجامعة الأزهر

الطبعة الأولى

١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفبه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، إنه من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا تنجي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، إله أحد، فرد صمد، لا صاحبة له ولا ولد .

(قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد)(١)
وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، أرسله ربه بالبينات والهدى وبين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا .
اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .
أما بعد ..

فإن باب الإسلام هو توحيد الله عز وجل ، فلا يستطيع أحد أن يدعى الإسلام قبل أن يقول: لا إله إلا الله، محمد رسول الله . فإذا قالها كان في عداد المسلمين له ما لهم، وعليه ما عليهم من الحقوق والواجبات .

وهذه الكلمة خطيرة الشأن فهي :

١ - تشتمل على معاني التوحيد .

٢ - لا يقبل الله عمل أحد مهما كان صالحا في ظاهره إلا بها .

قال تعالى : (ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين)(٢) .

٣ - إنها ليست مجرد كلمة تقال، فلها معناها، ولقولها تكاليف، والمشركون في مكة كانوا يفهمون معناها جيدا، لذا أبوا أن يقولوها، فلو كانوا يعلمون أنها مجرد كلمة لقالوها وانتهت المشاكل، ولما كانت هناك حروب ومعارك .
(فاعلم أنه لا إله إلا الله)(٣) .

٤ - وهي الحقيقة الدائمة التي لا يغيرها تغير ولا تبدل، فهي من الثوابت، لذا قال الله في شأنها: (وجعلها -أي: جعل إبراهيم عليه السلام لا إله إلا الله- كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون)(٤).

(٢) سورة الزمر الآية : ٦٥ .

(٤) سورة الزخرف الآية : ٢٨ .

(١) سورة الإخلاص .

(٣) سورة محمد الآية : ١٩ .

لذا أرسل الله عز وجل بها جميع رسله وأنبيائه .
قال الله تعالى : (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون)(١) .

وفى رسالة نوح قال تعالى : (لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره)(٢) .

وفى رسالة هود قال تعالى : (وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون)(٣) .

وكانت رسالة إبراهيم في التوحيد، فقد دعا قومه وأباه إلى توحيد الله، وجادلهم كثيرا وقام عمليا بإثبات أن الأصنام لا تنفع ولا تضر، فكسر أصنامهم وتحمل إيذاها شديدا لولا عناية الله ورعايته له .

وكذا موسى عليه السلام، وعيسى، ومحمد -صلى الله عليهم وسلم أجمعين- بعثوا بالتوحيد الخالص .

التوحيد الذي له أثره في القلوب وعلى الجوارح .
التوحيد الذي يكون من خلاله منهاج حياة منبثق منه ..
التوحيد الذي يؤثر على الحياة بأسرها فيخضعها لله ويهتف المسلم الموحد بقوله تعالى ..

(قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين)(٤) .

لأنها أساس إسلام العبد لله ، والأساس إن لم يكن متينا لا يقام عليه بناء شامخ، وبناء الإسلام شامخ عظيم، فلا بد أن يكون له أساس متين من الإيمان بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد نبيا ورسولا .

لذا عزمنا أن أكتب سطورا في العقيدة، أسجل فيها أركان الإيمان وما يتعلق بها، وأبين عقيدة الإسلام، وأنها ليست عقيدة لاهوتية جامدة، وإنما هي عقيدة عملية دافعة، إنها ليست عقيدة سلبية وإنما هي عقيدة إيجابية، بل الإيجابية إحدى سماتها .

(٢) سورة الأعراف الآية : ٥٩ .

(١) سورة الأنبياء الآية : ٢٥ .

(٤) سورة الأنعام: ١٦٢ ، ١٦٣ .

(٣) سورة الأعراف : ٦٥ .

تكون هذه السطور تذكرة لنفسى ، وتذكرة لإخوانى المسلمين الذين جمعتنا
 سويا هذه العقيدة على بعد الديار واختلاف الأوطان .
 ولقد توخيت فى هذه السطور اليسر فى العرض ، وأثرت الكلمة المعهودة على
 الكلمة المهجورة، وما ساغ من العبارات على ما غرب، حتى يسهل على القارئ
 استيعابه وإدراك ما فيه، ولقد ذلل أسلوبه حتى صار فى متناول الناشئة، وهى
 مرحلة قل أن تجد من كتب فى العقيدة لها .
 كما أننى أضربت عن مواطن الخلاف، واكتفيت بمواطن الاتفاق، وهى جل
 مسائل العقيدة، وأثرت عرض مذهب السلف على غيره، ولم أتعرض لبيان آراء
 الفرق المختلفة كالمعتزلة، والجبرية، والجهمية، والشيعة وغيرهم ، وكان ملائذى فى
 ذلك كتاب الله ، وما صح عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بما فهمه
 السلف الصالح من الصحابة والتابعين، ومن تبعهم من الأئمة المجتهدين كآبى
 حنيفة ، ومالك، والشافعى، وأحمد بن حنبل وغيرهم .
 ولقد أضفت بعض المباحث المهمة المتعلقة بالعقيدة فى آخر هذا الكتاب فإنها
 إما ملحقة بالعقيدة، أو ثمرة من ثمارها، وأثر من أثارها .
 راجيا الله أن ينفعنى والمسلمين بهذه السطور، فيكون لها واقع عملى فى
 أرض الله هداية لنا ولغيرنا إن شاء الله .
 كما أسأل الله أن يجبر تقصيرى، وأن يغفر زلتى، وأن يردنى إلى السواب
 فيما أخطأت فيه، وأن يجعل هذا الجهد خالصا لوجهه فى ميزان الحسنات يوم
 القيامة .
 إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير

كتبه

محمود عبد الرحمن عبد المنعم

جامعة الأزهر

القاهرة فى

١٠ شوال ١٤١٣ هـ ١٢ أبريل ١٩٩٣ م

عقيدة الإسلام

إن عقيدة الإسلام ليست ألغازاً مبهمة تحار فيها العقول وتحتاج إلى من يبين إبهامها ويزيل غموضها ويحل إشكالاتها، ولكنها من الوضوح والبيان بمكان لا يخفى على الطفل والناشئة أن يفهموها جيداً، فليست بحاجة لأن يقول قائل في شأنها هروباً من الإلحاح في السؤال : أغمض عينك واتبعني، أو يقول: آمن أولاً ثم ناقش .

من هنا جاءت آيات القرآن، وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم واضحة تمام الوضوح في الحديث عن العقيدة، حتى إن السور القصيرة تنزل لتشرح العقيدة أو تلخصها، كسورة الإخلاص التي لم تزد في المصحف على سطر واحد، ذلك أنها عقيدة توافق الفطرة التي خلق الله الإنسان عليها ولا تخالفها . وهي لا تخالف البدهيات، والمسلمات، وإنما هي واحدة منها، لذا كان النظر في الكون والتفكير فيه وفي سنن الله الكونية مساعداً لاستقرار الإيمان، فإن الإنسان إذا جرد نفسه من الهوى وتفكر في خلق الله تعالى قاده ذلك إلى مزيد من اليقين والإيمان الحق بالله خالق السموات والأرض .

قال الله تعالى : (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانه ففنا عذاب النار)(١) . وقال تعالى : (قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون)(٢) .

وقال تعالى: (فلينظر الإنسان إلى طعامه . أنا صببنا الماء صبا . ثم شققنا الأرض شققاً . فأنبتنا فيها حبا . وعنبا وقضبا . وزيتونا ونخلا . وحدائق غلبا . وفاكهة وأبا . متاعاً لكم ولأنعامكم)(٣) .

وقال تعالى: (فلينظر الإنسان مم خلق . خلق من ماء دافق . يخرج من بين الصلب والترائب . إنه على رجعه لقادر)(٤) .

(٢) سورة يونس الآية : ١٠١ .

(١) سورة آل عمران الآية : ١٩٠ ، ١٩١ .

(٤) سورة الطارق الآية : ٥ : ٨ .

(٣) سورة عبس الآية : ٢٤ : ٣٢ .

وقال تعالى: (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت. وإلى السماء كيف رفعت. وإلى الجبال كيف نصبت. وإلى الأرض كيف سطحت)(١).

كما أن عقيدة الإسلام ليست معرفة مجردة خالية من الروح غير دافعة إلى عمل، أو منزوية عن الحياة، كلا كلا ، ولكنها إيمان قلبي يغمر القلب والوجدان جميعا بالله تعالى وبأسمائه الحسنی ، وصفاته العليا، ثم ينضح على الجوارح - بعد النطق به - عملا صالحا يرضى عنه الله ورسوله .

إن هذا الإيمان القلبي يحتاج إلى دليل وبرهان عليه، وهذا الدليل والبرهان هو العمل الصالح ، وقد جاء في الأثر عن الحسن البصري: «ليس الإيمان بالتمنى ولا بالتحلى، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل، وإن قوما غرتهم الأمانى حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم، وقالوا: نحن نحسن الظن بالله، وكذبوا لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل»، وهذه الأعمال التي هي ثمرة الإيمان ودليله ليست اختراع إنسان، ولاعادة قوم، ولا عرف بلد، ولكنها أعمال حددها الله سبحانه وتعالى تحديدا، ثم ترك مساحة واسعة لمن يريد قربا من الله أكبر، وثوابا منه أعظم أن يملأ ما يقدر عليه منها، لأن هذه العقيدة تقول:

لا يعبد إلا الله وحده، ولا يعبد الله إلا بما شرع .

ثم يكون حظ العبد من هذا الإيمان قوة وضعفا على قدر عمله واجتهاده .

قال عمر بن عبد العزيز: «إن للإيمان فرائض، وشرائع ، وحدودا، وسننا، فمن استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان، فإن أعش فسأبينها لكم حتى تعملوا، بها وإن أمت فما أنا على صحبتكم بحريص»(٢).

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : «الإيمان بضع وسبعون، أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إمالة الأذن عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»(٣).

ففى هذا الحديث الشريف بين النبي صلى الله عليه وسلم عدد شعب

(١) سورة الغاشية الآية : ١٧ : ٢٠ .

(٢) صحيح البخارى، كتاب الإيمان، باب الإيمان وقول النبي - صلى الله عليه وسلم - بنى الإسلام على خمس ١٠/١ - ط. عيسى الحلبى .

(٣) صحيح مسلم حديث رقم (٥٨) ج١/٦٣، ط. عيسى الحلبى ترقيم: الأستاذ/ محمد فؤاد عبد الباقي.

الإيمان^(١) إجمالاً، ثم ضرب لنا أمثلة ثلاثة من تلك الشعب:

الأول: أعلى هذه الشعب، وهي: لا إله إلا الله.

الثاني: أدنى هذه الشعب، وهي: إمطة الأذى عن الطريق.

الثالث: شعبة متوسطة بين هذه وتلك، وهي: الحياء.

وينبغي أن يعلم كذلك: أن بعض هذه الشعب أركان للإيمان، لا يتحقق إيمان العبد حتى يؤمن بها جميعاً، وبعضها فرائض واجبة الأداء يستحق على أداء الثواب ويستحق على تركها العقاب، وقد يكفر إن جحدها.

وبعضها أخلاق وسلوك بما فيها من أخلاق واجبة، وأخلاق مندوبة، بمعنى أن العبد إن فعلها كان له ثواب عظيم عند الله، دون أن يرتب على تركها عقاب وبعضها متعلق بأمور المعاملات بما فيها من بيع وشراء، وأخذ وعطاء، بدرجات المختلفة.

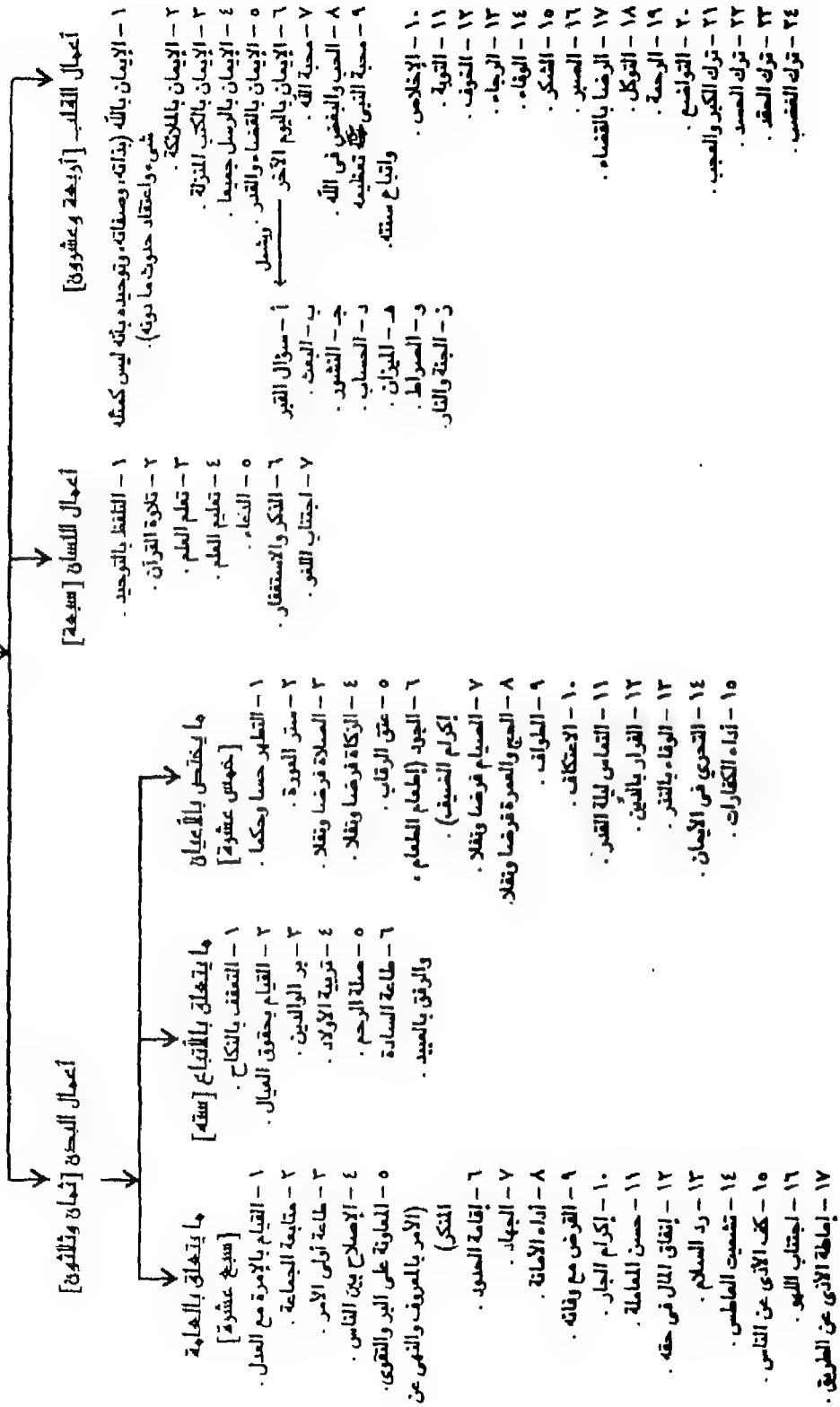
فهذه الشعب: متفاوتة كما جاء في الحديث الأنف الذكر.

وهي كذلك شاملة للعقيدة، والأخلاق، والعبادات، والمعاملات.

وقد اجتهد العلماء في حصر هذه الشعب، ويجدر أن أذكر مسلماً مسالكهم وهو مسلک ابن حبان، الذي رجحه الإمام ابن حجر في فتح الباري وذكره. وما أنذا أذكرها لك في جدول موزعة على أقسامها حتى يتيسر فهمها

(١) لا خلاف بين تعداها بضعا وستين، وبين بضعا وسبعين، فإنها بضع وستون، وبعضها في تفصيلات لو عدت لصارت بضعا وسبعين كما بين ذلك الإمام ابن حجر في فتح الباري شرح البخاري ٦٨/١ ريان.

شعب الإيمان



مع ملاحظة أن هذه الشعب قد نال كل جراحة من جوارح الإنسان حظاً منها، فمنها ما هو متعلق بالقلب كما سبق، ومنها ما هو متعلق باللسان، ومنها ما هو متعلق بالجوارح. فعلى السمع تكاليف، وكذا على النظر، والذوق، والشم واللمس (١).

والناس يتفاوتون في أداء هذه الشعب وتحقيقها، فمن فعلها جميعاً مخلصاً لله قلبه مريداً للتوابع، لا يبغي إلا وجهه ورضاه، والجنة، ولا يتطلع إلا إلى النجاة من النار وأحوالها، كان إيمانه كاملاً تاماً .

ومن قصر فيها جميعاً فليس له من الإيمان إلا الدعوى المجردة .
ومن قصر في بعضها وأدى بعضها، كان له من الإيمان على قدر ما أدى من الأعمال بمراتبها ودرجاتها، وكان فاقداً لجزء من الإيمان على قدر ما ترك أو قصر، فقد سأل النبي - صلى الله عليه وسلم - حارثة قائلاً له : كيف أصبحت يا حارثة؟ فقال: «أصبحت مؤمناً حقاً» فلم يقبل منه هذه الإجابة دون أن يسأله عن الدليل والبرهان فقال له: إن لكل قول حقيقة، فما حقيقة قولك، وصدق إيمانك؟

فقال : عزفت نفسي عن الدنيا، فأسهرت ليلها وأظلمات نهارها، وظللت كائناً أنظر إلى عرش ربي بارزاً، وإلى أهل الجنة يتنعمون فيها، وإلى أهل النار يعذبون فيها. فقال له: عرفت فالزم» (٢).

وبعد، فخلاصة ما سبق :

- ١ - أن عقيدة الإسلام عقيدة سهلة لا غموض فيها .
- ٢ - أنها توافق الفطرة السليمة ولا تخالفها .
- ٣ - أنه يعمقها العلم والتفكير في الكون .
- ٤ - أنها عقيدة عملية، فالإيمان قول وعمل .
- ٥ - أن الإيمان بها يزيد بالعمل الصالح، وينقص بالعمل السيئ .
- ٦ - أنها ذات شعب وأركان وفرائض .
- ٧ - أن شعبها وأركانها متفاوتة في درجاتها، وأنها موزعة على قلب الإنسان ولسانه، وبقيّة جوارحه .

(١) انظر : مدارج السالكين لابن القيم ١٠٩/١ - ١٢٢ .

(٢) أخرجه الطبراني بإسناده عن الحارث بن مالك الأنصاري .

أركان الإيمان

قال تعالى :

[ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب
ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب
والنبيين وآتى المال على حبه ذواً القربى واليتامى
والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة
وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين
في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا
وأولئك هم المتقون .

سورة البقرة الآية (١٧٧)

وقال صلى الله عليه وسلم :

« الإيمان : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ،
واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره » .

متفق عليه (من حديث طويل) اللؤلؤ والمرجان ٢/١ رقم (٥)

فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

لقد أمر الله الرسول - صلى الله عليه وسلم - والمؤمنين أن يـ
التوحيد، إنه لم يأمرهم أن يقولوها، إنما أمرهم أن يحصلوا حقيقة
بمعنى تيقنها بمعناها الحقيقي، فإذا نطق بها بعد ذلك، كان ذا
وشهادة بما وقع في قلبه من اليقين، بوجود الله - تعالى - وأنه سبـ
غيره ولا معبود سواه، وأنه سبحانه له الخلق والأمر (وهو الله لا إله
الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون) (١).

ولقد عد القرآن الكريم، والسنة الشريفة، الإيمان بالله أول أركان ا
هو أصل الإيمان، وما عداه يعتبر تابعا لهذا الأصل.

وليس معنى الإيمان بالله أن يؤمن العبد بوجود الله فقط، بل إن هـ
من ذلك، وأشمل؛ فإن الإيمان بوجوده له ما يتبعه من الضرورات الإ
كان المشركون يؤمنون بوجود الله - تعالى - بل ويؤمنون بأنه خالق
وأنه الرازق، ومع ذلك لم يعدهم الإسلام مؤمنين، لأنهم أشركوا مع اللـ
قال الله تعالى : (قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يهـ
والأبصار ومن يخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، ومن
فسيقولون الله، فقل أفلا تتقون، فذلكم الله ربكم الحق، فماذا بعد
الضلال فأنى تصرفون» (٢).

ويقول أيضا: (قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون، سيقولوا
أفلا تذكرون، قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم. سيقوا
أفلا تتقون، قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه
تعلمون. سيقولون لله. قل فأنى تسحرون) ثم قال سبحانه بعد ذلك مـ
أتيناهم بالحق وإنهم لكاذبون. ما اتخذ الله من ولد وما كان معه
لذهب كل إله بما خلق. ولعلا بعضهم على بعض. سبحانه الله عما يصـ
الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون) (٣).

(١) سورة القصص الآية : ٧٠ .

(٢) سورة يونس الآية : ٣١ ، ٣٢ .

(٣) سورة المؤمنون الآية : ٨٤ : ٩٢ .

وقد قال الرجل الأعرايى بفطرته: «البعرة تدل على البعير، وأثر الأقدام يدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، أفلا يدل ذلك على اللطيف الخبير؟» .

ولقد كان بنظره وتأمله يعلم أن الكون ما خلق عبثاً، وما خلق نفسه بما ادعى أحد أنه خلقه، ولا أنه خلق نفسه، فلم يبق إلا أن يعلم أن خالقه هو الله رب العالمين، وبهذا ذكرهم القرآن وحاجهم (أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون، أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون، أم عندهم خزائن ربك أم هم المصيطرون، أم لهم سلم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطان مبين، إلى آخر هذه الآيات)^(١). إن كوننا بهذا النظام الفذ، وبهذا الإتقان المعجز، والتكامل العظيم، بما فيه من أجرام كونية، من نجوم وكواكب، وبما فيه من بحار، وأنهار، وجبال، وسهول، ووديان، لجدير أن لا يشك الإنسان لحظة أنه من خلق الله، وجدير به أن يلهج لسانه بقول: (ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فققنا عذاب النار)^(٢).
(ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت)^(٣) (فتبارك الله أحسن الخالقين)^(٤).
(الذى خلق فسوى)^(٥) :

«لقد خلق الله كل شيء فسواه، فأكمل صنعته، وبلغ به غاية الكمال الذى يناسبه، والذى قدر لكل مخلوق وظيفته وطريقته وغايته، فهداه إلى ما خلقه لأجله، وألهمه غاية وجوده، وقدر له ما يصلحه مدة بقائه، وهداه إليه أيضاً، وهذه الحقيقة الكبرى ماثلة فى كل شيء فى هذا الوجود، يشهد بها كل شيء فى رحاب الوجود، من الكبير إلى الصغير، ومن الجليل إلى الحقير، كل شيء مسوى فى صنعته، كامل فى خلقته، معد لأداء وظيفته، مقدر له غاية وجوده، وهو ميسر لتحقيق هذه الغاية من أيسر طريق، وجميع الأشياء مجتمعة كاملة التناسق، ميسرة لكى تؤدي فى تجمعها دورها الجماعى، مثلما هى ميسرة فرادى لكى تؤدي دورها الفردى»^(٦).

(١) سورة الطور الآية: ٢٥: ٢٧. استمع إليها جبير بن مطعم فى الصلاة من رسول الله ﷺ فى صلاة المغرب فقال: فلما سمعتها : كاد قلبى أن يطير وفى رواية (يتصدع) وهو حديث فى صحيح مسلم .

(٢) سورة آل عمران الآية : ١٩١ . (٣) سورة الملك الآية: ٣ .

(٤) سورة المؤمنون الآية: ١٤ . (٥) سورة الأعلى الآية: ٣ .

(٦) فى ظلال القرآن للأستاذ/ سيد قطب : ٢٨٨٢/٦ ، ٢٨٨٤ طدار الشرق .

الحواس وحدها معجزة، والجلد والشعر معجزة، والأنياب والأظفار معجزة،
 وجهاز الهضم، والتنفس، والإنسال كلها معجزات .
 كل عضو مخصص للقيام بوظيفته أو عدة وظائف، وهى كلها فى الأصل
 بويضة واحدة، أو حيوان منوى فى رأى العين - غير مميز الأجزاء .
 كم من معجزة فى الإنسان ؟
 ما العقل ؟ كيف يفكر ؟ كيف يصل إلى الحقائق ؟ كيف يرتب بعضها على
 بعض، ويستنبط بعضها من بعض ؟
 وما التفكير، كهرباء هو ؟ أم مادة ؟ أم طاقة ؟ وكيف تميزت عن الطاقة
 الأخرى كلها وتفردت عنها ؟
 وما الروح ؟ ذلك المجهول !
 وهذا قليل جدا بجانب ما بالجسم من أجهزة وأسرار - قال الله تعالى :
 (وفى أنفسكم أفلا تبصرون) (١) .

وفى كل تحريكة وتسكينة أبدا شاهد
 وفى كل شىء له آية تدل على أنه الواحد

وأخيرا أعود إلى دليل الفطرة فأقول :

سأل رجل جعفر الصادق - رضى الله عنه - «عن الله» فقال : ألم تتركب
 البحر ؟ قال : بلى، قال : فهل هاجت الريح بكم عاصفة ؟ قال : نعم ، قال :
 وانقطع حينئذ أملك من الملاحين ووسائل النجاة ؟ قال : نعم ، قال : فهل خطر
 ببالك وانتدح فى نفسك أن هناك من يستطيع أن ينقذك إن شاء ؟ قال : نعم،
 قال : فذلك هو «الله» .

وإلى هذا أشارت الآية الكريمة : (وإذا مسكم الضر فى البحر ضل من
 تدعون إلا إياه) (٢) . والآية الكريمة : (هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى إذا
 كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم
 الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن
 أنجيتنا من هذه ل نكونن من الشاكرين) (٣) .

(١) سورة الذاريات الآية : ٢١ . (٢) سورة الإسراء الآية : ٦٧ .

(٣) سورة يونس الآية : ٢٢ . وانظر كتاب: الله فى العقيدة الإسلامية ص : ١٨ ط، دار الشهاب .

أَسْمَاءُ اللَّهِ - تَعَالَى - وَالْأَحْكَامُ الْمُتَعَلِّقَةُ بِهَا :

لقد بين القرآن الكريم ، والسنة المطهرة أسماء الله - تعالى - حتى يعرف الناس خالقهم من خلال هذه الأسماء .

وقد جاء فى حديث واحد بيان تسع وتسعين اسما، حيث قال - صلى الله عليه وسلم : «لله تسعة وتسعون اسما، مائة إلا واحدا، لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر» أخرجه البخارى ومسلم^(١) ، ورواية البخارى (من أحصاها) ، وأخرجه الترمذى وزاد :

(هو الله^(٢) الذى لا إله إلا هو الرحمن^(٣) . الرحيم^(٤) . الملك^(٥) . القنوس^(٦) . السلام^(٧) . المؤمن^(٨) . المهيمن^(٩) . العزيز^(١٠) . الجبار^(١١) . المتكبر^(١٢) . الخالق^(١٣) . البارئ^(١٤) . المصور^(١٥) . الغفار^(١٦) . القهار^(١٧))

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه : رقم (٧٣٩٢) ، ومسلم فى صحيحه : رقم (٢٦٧٧) .

(٢) الله : علم على الذات الإلهية ، وبقية الأسماء يدل كل اسم على صفة من صفاته .

(٣) الرحمن : ذو الرحمة الشاملة التى وسعت الخلق فى أرزاقهم ومصالحهم، وعنت المؤمن والكافر .

(٤) الرحيم : ذو الرحمة للمؤمنين، كقوله تعالى : (وكان بالمؤمنين رحيما) .

(٥) الملك : المتصرف فى ملكه كيفما يشاء .

(٦) القنوس : المطهر فى ملكه .

(٧) السلام : الأمان لخلقه .

(٨) المؤمن : المصدق وعده لهم ، والمؤمن خلقه من العذاب .

(٩) المهيمن : المسيطر .

(١٠) العزيز : الغالب .

(١١) الجبار : المنفذ لأوامره ، والمصلح لشئون عبادِهِ .

(١٢) المتكبر : العالى عن صفات الخلق المتفرد بصفات عظمتِهِ .

(١٣) الخالق : الموجد للمخلوقات من غير أصل .

(١٤) البارئ : الخالق لما فيه الروح، والموجد لما له أصل .

(١٥) المصور : المعطى لكل شىء صورة تميزه عن غيره .

(١٦) الغفار : كثير المغفرة وستر الذنوب .

(١٧) القهار : القابض على كل شىء والقاهر لكل الخلائق .

- الوهاب (١) . الرزاق (٢) . الفتاح (٣) . العليم (٤) . القابض (٥) . الباسط (٦) .
 الخافض (٧) . الرافع (٨) . المعز (٩) . المذل (١٠) . السميع (١١) . البصير (١٢) . الحكم (١٣) .
 العدل (١٤) . اللطيف (١٥) . الخبير (١٦) . الحليم (١٧) . العظيم (١٨) . الغفور (١٩) .
 الشكور (٢٠) . العلى (٢١) . الكبير (٢٢) . الحفيظ (٢٣) . المقيت (٢٤) . الحسيب (٢٥) .

- (١) الوهاب : كثير النعم دائم العطايا والممن .
 (٢) الرزاق : خالق الأرزاق وأسبابها .
 (٣) الفتاح : الذى يفتح خزائن رحمته لعباده .
 (٤) العليم : العالم بكل شيء فلا تخفى عليه خافية .
 (٥) القابض : قابض الأرواح ، أو مضيق الرزق على من يشاء .
 (٦) الباسط : موسع الرزق على من يشاء .
 (٧) الخافض : الذى يخفض من يشاء ممن يستحق الخزي والذل والعذاب .
 (٨) الرافع : الذى يعلى من يستحق الرفعة من المؤمنين .
 (٩) المعز : يعز من يستمسك بدينه ويعطيه النصرة والغلبة . (١٠) المذل : الذى يذل أعداءه .
 (١١) السميع : الذى وسع سمعه الأصوات ، فلا يخفى عليه سر ولا جهر .
 (١٢) البصير : الذى وسع بصره الأشياء وانكشفت له انكشافا تاما .
 (١٣) الحكم : الحاكم الذى لا معقب لحكمه . (١٤) العدل : الذى لا يظلم أبدا .
 (١٥) اللطيف : العالم بخفايا الأمور ووقائعها ، فلا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء .
 (١٦) الخبير : الذى لا تخفى عنه خافية ولا يغيب عنه شيء .
 (١٧) الحليم : الذى لا يستغزه غضب ولا يعجل بالعقوبة .
 (١٨) العظيم : المتصف بالجلال والجمال .
 (١٩) الغفور : كثير الغفران .
 (٢٠) الشكور : الذى يعطى الكثير على العمل القليل .
 (٢١) العلى : المرتفع الذى بلغ الغاية التى لا يدركها إلا هو فى علو المرتبة .
 (٢٢) الكبير : الذى لا تقدر الحواس على إدراكه ، والعقول عن تصور ذاته .
 (٢٣) الحفيظ : الذى يمنع الأشياء من الخلل والفساد .
 (٢٤) المقيت : الذى خلق الغذاء المادى والروحى .
 (٢٥) الحسيب : الذى يكفى عباده أو الذى يحاسبهم يوم القيامة .

الجليل (١) . الكريم (٢) . الرقيب (٣) . المجيب (٤) . الواسع (٥) . الحكيم (٦) .
الودود (٧) . المجيد (٨) . الباعث (٩) . الشهيد (١٠) . الحق (١١) . الوكيل (١٢) . القوى (١٣) .
المتين (١٤) . الولي (١٥) . الحميد (١٦) . المحصى (١٧) . المبدئ (١٨) . المعيد (١٩) .
المحيي (٢٠) . المميت (٢١) . الحى (٢٢)

-
- (١) الجليل : الذى له صفات العظمة والكمال، لكمال صفاته .
(٢) الكريم : المعطى من غير سؤال ولا عوض .
(٣) الرقيب : الذى يلاحظ الأشياء فلا يغيب عنه شيء .
(٤) المجيب : الذى يستجيب دعاء من دعاء .
(٥) الواسع : الذى عمت رحمته كل شيء ، ووسع علمه كل شيء .
(٦) الحكيم : صاحب الحكمة البالغة لكمال علمه، واتقان كل شيء .
(٧) الودود : المحب الخير لخلقه، والمحسن إليهم فى كل الأحوال .
(٨) المجيد : الذى بلغ النهاية فى المجد والشرف .
(٩) الباعث معناه : باعث الرسل، وباعث من فى القبور، وغير ذلك .
(١٠) الشهيد : الحاضر دائما فلا يغيب ولا تخفى عليه خافية .
(١١) الحق : الثابت الذى لا يتغير .
(١٢) الوكيل : القائم بأمور عباده وسائر ما يحتاجون إليه .
(١٣) القوى : الذى فاقت قدرته كل شيء .
(١٤) المتين : الذى لا نهاية لشدته سبحانه وتعالى .
(١٥) الولي : الذى يتولى أمر خلقه دون سواه .
(١٦) الحميد : المستحق للحمد والثناء على نعمة وأفضاله التى لا تحصى .
(١٧) المحصى : الذى لا يغيب عن علمه شيء .
(١٨) المبدئ : الموجد للأشياء من العدم .
(١٩) المعيد : الذى يعيد الأشياء من العدم .
(٢٠) المحيى : خالق الحياة .
(٢١) المميت : سالب الحياة من الأحياء .
(٢٢) الحى : المتصف بالحياة الكاملة الأزلية التى لم يسبقها عدم ، ولن يعترها موت .

القيوم(١). الواجد(٢). الماجد(٣). الواحد(٤). الصمد(٥). القادر(٦). المقتدر(٧).
المقدم(٨). المؤخر(٩) الأول(١٠). الآخر(١١). الظاهر(١٢). الباطن(١٣).
الوالى(١٤). المتعالى(١٥). البر(١٦). التواب(١٧). المنتقم(١٨). العفو(١٩).
الراء وف(٢٠). مالك الملك(٢١). ذو الجلال والإكرام(٢٢). المقسط(٢٣).....

-
- (١) القيوم : القائم بنفسه والقائم به غيره، فبه قامت السموات والأرض وكل شيء، دونه .
(٢) الواجد : الغنى المطلق الذى لا يحتاج إلى شيء .
(٣) الماجد : الذى لا نهاية لمجده وشرفه .
(٤) الواحد : الذى لا شريك له فى ملكه، فهو واحد فى ذاته ، وصفاته ، وأفعاله .
(٥) الصمد : الذى يصمد الخلائق له أى يقصده فى جوائهم كلها .
(٦) القادر : القوى الذى لا نهاية لقوته .
(٧) المقتدر : الكامل القدرة .
(٨) المقدم : الذى يجعل بعض الأشياء سابقا على بعض لحكمة لا يعلمها غيره، سواء فى الزمان، أو المكان، أو الشرف .
(٩) المؤخر : الذى يجعل بعض الأشياء لاحقا لبعض لحكمة يعلمها .
(١٠) الأول : القديم الذى لا أول لوجوده .
(١١) الآخر : الباقي الذى لا آخر لوجوده .
(١٢) الظاهر : الذى ليس فوقه شيء .
(١٣) الباطن : الخفى بذاته فلا يعلم ذاته أحد .
(١٤) الوالى : الذى تولى الأشياء وملكها .
(١٥) المتعالى : المنزه عن النقائص .
(١٦) البر : عظيم الإحسان على خلقه .
(١٧) التواب : الذى يوفق العصاة للتوبة ، ويقبلها منهم .
(١٨) المنتقم : شديد العقاب للعصاة المستحقين العقوبة .
(١٩) العفو : الماحى لسيئات من أناب إليه .
(٢٠) الراء وف : عظيم الرأفة والرحمة .
(٢١) مالك الملك : الذى تجرى الأمور فى كونه طبق مشيئته وقدرته وإرادته .
(٢٢) ذو الجلال والإكرام : صاحب الشرف والالاء، ومفيض النعم على خلقه .
(٢٣) المقسط : العادل الذى لا يظلم .

الجامع (١). الغنى (٢). المغنى (٣). المانع (٤). الضار (٥). النافع (٦). النور (٧).
الهادى (٨). البديع (٩). الباقي (١٠). الوارث (١١). الرشيد (١٢). الصبور (١٣).

-
- (١) الجامع : الذى يجمع الناس يوم القيامة .
(٢) الغنى : الذى لا يحتاج لما عداه، والمحتاج إليه كل ما سواه .
(٣) المغنى : الذى يفيض من غناه على خلقه .
(٤) المانع : الذى يمنع أسباب الهلاك، أو الذى يحرم من يشاء بحكمته .
(٥) الضار : الذى ينزل عقوبته بمن يستحق .
(٦) النافع : الذى عم خيره البلاد والعباد .
(٧) النور : الظاهر بنفسه والمظهر لغيره .
(٨) الهادى : الذى لا هداية لأحد إلا به سبحانه ، والذى هدى كل موجود إلى ما يحفظ وجوده .
(٩) البديع : الذى لا نظير له .
(١٠) الباقي : الدائم الوجود .
(١١) الوارث : الباقي بعد فناء المخلوقات .
(١٢) الرشيد : المرشد لعباده، والذى تجرى تصاريفه بحكمة بالغة .
(١٣) الصبور : الذى لا يعاجل بالعقوبة، ولا يتعجل بشيء قبل أوانه سبحانه وتعالى .

هل لله - تعالى - أسماء أخرى ؟

أقول : نعم لقد ورد فى أحاديث أسماء أخرى لله، غير ما ذكر فى الحديث السابق .

فقد ورد : الحنان ، والمنان ، والخلق، والمغيث، والكفيل، وذو الطول، وذو المعارج، وذو الفضل .

كما ينبغى أن تعلم أنه لا يصح أن نطلق على الله عز وجل اسماً، أو وصفاً لم يرد به الشرع بقصد اتخاذه اسماً له تعالى، وإن كان يشعر بالكمال، فلا يصح أن نقول: مهندس الكون الأعظم، ولا أن نقول المدير العام لشئون الخلق، على أن تكون هذه أسماء أو صفات له تعالى يصطلىح عليها ويتفق على إطلاقها عليه تعالى، ولكنها إن جاءت فى عرض الكلام ليبيان تصرفه تعالى من باب التقريب للأفهام فلا بأس، والأولى العدول عن ذلك تأدياً مع الحق تبارك وتعالى^(١).

اسم الله الأعظم :

ورد بيان اسم الله الأعظم الذى إذا دعى الله به أجاب، وإذا سئل به أعطى فى أحاديث عدة منها :

١ - عن بريدة - رضى الله عنه - قال : سمع النبى - صلى الله عليه وسلم - رجلاً يدعو وهو يقول: اللهم إنى أسألك بأننى أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، قال: فقال: «والذى نفسى بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم، الذى إذا دعى به أجاب، وإذا سئل به أعطى»^(٢) .

٢ - عن أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال : دخل النبى صلى الله عليه وسلم المسجد ورجل قد صلى وهو يدعو الله ويقول فى دعائه : اللهم لا إله إلا أنت ، أنت المنان ، بديع السموات والأرض، ذا الجلال والإكرام ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم أتدرون بىم دعا الله؟ دعا الله باسمه الأعظم الذى إذا دعى به أجاب، وإذا سئل به أعطى^(٣) .

(١) رسالة العقائد للشيخ الإمام/ حسن البنا ص ٢١ . ط. دار الشهاب .

(٢) و (٣) رواه أبو داود ، والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه .

٣ - وعن أسماء بنت يزيد - رضى الله عنها - أن النبي - صلى الله عليه وسلم قال : اسم الله الأعظم فى هاتين الآيتين : «والهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم، وفاتحة آل عمران : الم . الله لا إله إلا هو الحى القيوم»^(١).
وحيث تعددت الأدعية وورد فى الأحاديث أنها اسم الله الأعظم ، دل ذلك على أن اسم الله الأعظم ليس اسما محددًا دون غيره ، إنما يؤخذ من مجموع ما سبق: أن أى دعاء فيه ثناء على الله بأسمائه وصفاته على هذا النحو فهو من اسم الله الأعظم .

وينبغى أن يعلم : أنه لا يجوز ادعاء أن اسم الله الأعظم فى ألفاظ غير مفهومة ولا يدرك المراد منها، أو أن اسم الله الأعظم سر من الأسرار، اختص الله به بعض خلقه، فتلك دعوى عارية عن الدليل .

وكفينا ما ورد عن النبي-صلى الله عليه وسلم- قفيه الكفاية والهداية، وينبغى أن يتأمل العبد فيها، ويدرك معناها، حتى تنفعل بها نفسه، ويتخذها نبراسا، ويفتح الله عز وجل له آفاقا من معرفته ببركة وقوفه على الوارد من الشرع.

الدعاء والحلف بأسماء الله تعالى :

من خلال ما سبق نعلم أنه ينبغى أن يسأل العبد ربه بأسمائه الحسنى، وقد قال تعالى : «والله الأسماء الحسنى فادعوه بها، وذروا الذين يلحنون فى أسمائه سيجزون ما كانوا يعلمون»^(٢).

ومعنى ذلك: اطلبوا منه بأسمائه ، فيطلب بكل اسم ما يليق به، تقول يا رحيم ارحنى، يا حكيم احكم لى، يا رزاق ارزقنى، يا هادى اهدنى، يا فتاح افتح لى، يا تواب تب على، هكذا، ولا تقول يا رزاق اهدنى إلا أن تريد ارزقنى الخير^(٣).

ومن هنا يعلم أن هذه الأسماء هى : أيضا صفات ومعان ، فهى أسماء وصفات معاً، وقد أشرنا إلى ذلك فى معانى أسماء الله الحسنى .

(والإلحاد فى أسمائه): الميل بها وترك القصد بالتغيير فيها، كما عدل المشركون، فإنهم عدلوا بها عما هى عليه فسموا بها أوثانهم، فاشتقوا (اللات) من

(١) رواه أحمد ، وأبو داود ، والترمذى ، وابن ماجه ، وقال الترمذى حديث حسن صحيح .

(٢) سورة الأعراف الآية : ١٨٠ . (٣) تفسير القرطبى ٤/ ٢٧٦٣ .

(الله)، و(العزى) من (العزیز) ، و(مناة) من (المنان).
ومن معانى الإلحاد فيها الزيادة فيها كمن يسمى الله بغير اسمه، وكذلك
النقصان منها، كتعطيل معانيها وزعم أنها ليست لها معان (١).
وأیضا فإن الحلف، وهو القسم، لا يكون إلا باسم من أسماء الله أو صفة
من صفاته، وسيأتى الكلام عنها، وقد شدد الإسلام فى ذلك وجعل القسم بغير
ذلك كالقسم بالآباء أو الأمانة ، أو أحد من العباد، أو شيئاً من الأشياء نوعاً من
أنواع الشرك، لأنه تعظيم لغير الله بما لا يستحق، وبما لم يأذن به الله، وأیضا
كان الحالف يدعو على نفسه أن ينتقم المحلوف به إن كان كاذباً، أو لم يفعل ما
حلف عليه، وذلك لا يكون إلا لله عز وجل .
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن
كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت» (٢).
وقال : «من حلف بغير الله فقد أشرك» (٣).
وقال : «من حلف بالأمانة ، فليس منا» (٤).

-
- (١) انظر فى هذا المعنى : تفسير القرطبي ٢٧٥٤/٤ .
(٢) هذا الحديث متفق عليه من حديث ابن عمر (اللولؤ والمرجان ١٧٠/٢ رقم ١٠٦٧) وأخرجه أبو داود،
والترمذى، والنسائى، وابن ماجه، والدارمى، والإمام مالك، والإمام أحمد .
(انظر: كشف الخفاء للعجلونى ٤٧٢/٢ رقم ٣٠٨)، ومفتاح كنوز السنة ص ٧٠)
(٣) أخرجه الإمام أحمد، والترمذى، والحاكم عن ابن عمر، وحسنه السيوطى (الجامع الصغير
ص ٣٠٤).
(٤) أخرجه هكذا أبو داود عن بريدة برقم (٣٢٥٣) ، وأخرجه ابن حبان فى صحيحه عن ابن عمر بلفظ:
«من خب زوجة امرئ أو مملوكه فليس منا، ومن حلف بالأمانة فليس منا» الإحسان بترتيب صحيح ابن
حبان ٢٧٩/٦ رقم (٤٣٤٨) .

صفات الله - سبحانه وتعالى :

صفات الله في القرآن الكريم كثيرة ، وكمالاته تبارك وتعالى لا تتناهى، ولا تدرك كنهها عقول البشر، سبحانه لا يحصى أحد ثناء عليه، فهو كما أثنى على نفسه، وفوق ما يثنى عليه المثنون .

وقبل أن نعرض صفات الله -تعالى- يجب التنبيه على أنه لا ينبغي أن نفهم هذه الصفات كما تطلق على البشر، ففرق كبير بين المخلوق والخالق، إنما تفهم على وفق قوله تعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)^(١)، فسمع الله تعالى غير سمع المخلوق، وكذلك البصر، والعلم، والحياة، فهو سبحانه لا يشبه أحدا من خلقه، والمسلم ليس مطالباً بمعرفة حقيقتها، إنما عليه أن يدرك آثارها في الكون .

كما ينبغي أن يكف المسلم عن التفكير في ذات الله سبحانه وتعالى، فإن المخلوق لن يقدر قدر الله سبحانه، كما ورد في الحديث: «لا تفكروا في ذات الله، ولكن تفكروا في مخلوقاته فإنكم لن تقدروا قدره»^(٢) ، وليس ذلك حجراً على العقول وإنما لنلا يعمل العقل في خارج مجاله ، وفوق حدود قدرته، وسيأتى في ذلك بحث إن شاء الله .

وقد أشارت آيات القرآن الكريم، وأحاديث السنة المطهرة إلى صفات الله سبحانه وتعالى، وهذه الصفات نوعان : صفات ذاتية ، وصفات فعل .

أما الصفات الذاتية : فهي التي لا تنفك عن الله تعالى - كالنفس ، والعلم ، والحياة، والسمع والبصر، والوجه ، والكلام ، والقدم، والملك ، والعظمة والكبرياء، والعلو، والغنى، والرحمة والحكمة .

وأما صفات الفعل : فهي ما تتعلق بمشيئته سبحانه وقدرته، كالاستواء ، والنزول والمجيء، والعجب، والضحك، والرضى، والحب، والكره، والسخط،

(١) سورة الشورى الآية : ١١

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية عن ابن عباس، ورواه ابن أبي شيبة في كتاب العرس له من قوله عن ابن عباس بنحوه، ورواه الأصبهاني في ترغيبه، وهو عند أحمد، والطبراني، وأبو نعيم عن عبد الله بن سلام، وفيه قصة (انظر : كشف الخفاء ١ / ٣٧١ ، ٣٧٢) .

والفرح، والغضب، إلخ ذلك، والواجب: الإيمان بهذه الصفات بنوعيتها، بالمعنى الحقيقي لها وذلك فى نطاق (ليس كمثله شئ وهو السميع البصير) دون علم بكيفية ذلك ، فإن كيفية ذلك ، لا يعلمها إلا الله وها أنذا أستعرض بعض هذه الصفات ومعانيها ذاكرا أدلتها كما وردت :

أولاً : وجود الله - سبحانه وتعالى : -

وقد تقدم بيان ذلك وأدلته، مع أن وجوده لا يحتاج إلى دليل، بل هو فوق البرهان والدليل بشهادة الفطرة ، وشهادة هذا الكون كله فإنه ناطق بوجود خالق مدبر له، قال تعالى: (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت، وإلى السماء كيف رفعت، وإلى الجبال كيف نصبت، وإلى الأرض كيف سطحت) (١).

ثانياً : وثالثاً :

صفته البقاء :

ومعنى قدمه تعالى أنه لا أول لوجوده ، فوجوده أزلى .
ومعنى بقاءه تعالى أنه لا آخر لوجوده ، فبقاؤه لا نهاية له .

أدلة ذلك من القرآن :

قول الله - تعالى - : (هو الأول والآخر، والظاهر والباطن، وهو بكل شئ عليم) (٢).

وقال تعالى : (كل شئ هالك إلا وجهه) (٣).

أدلة ذلك من السنة :

قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - فى دعائه :

« ... أنت الأول فليس قبلك شئ وأنت الآخر فليس بعدك شئ، وأنت الظاهر فليس فوقك شئ ، وأنت الباطن فليس دونك شئ، اقض عني الدين واغنني من الفقر» (٤).

(١) سورة الفاشية الآيات: ١٧ : ٢٠ . (٢) سورة الحديد الآية: ٣ . (٣) سورة القصص الآية: ٨٨ .

(٤) أخرجه مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة وأوله : اللهم رب السموات السبع ورب الأرض ورب كل شئ، فالق الحب والنوى، منزل التوراة والإنجيل والقرآن ، أعوذ بك من شر كل ذى شر أنت آخذ بناصيته، أنت الأول ... إلخ » .

وابها :

مخالفة الله للحوادث :

معناها : عدم مشابهته للحوادث في ذاته ، وصفاته ، وأفعاله .
أدلتها : قال تعالى : (قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد)^(١) .

ومعنى : (الصمد) : أى يقصده الخلق في حوائجهم لها ولا ين عباس في معناه كلام آخر سيأتى .

ومعنى : (ولم يكن له كفوا أحد) : لم يكن له أحد مكافئاً ومماثلاً، تعالى الله عن ذلك .

وقال تعالى : (فاطر السموات والأرض . جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا يدرؤكم فيه، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)^(٢) .

ومعنى : (فاطر السموات والأرض) : خالقهما على غير مثال سابق .
و (جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا) : بث الناس على نعمط الزوجية، حيث خلق آدم من طين ، ثم خلق حواء من ضلعه ، ثم خلق الباقي من ماء ، أى: منى يعنى، ذكورا وإناثا، وكذلك من سائر الحيوانات، بل ومن النبات، والجماد حيث قال فى آية أخرى : (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرن)^(٣) .

وفى قوله : (ليس كمثله شيء) إشارة إلى مخالفته تبارك وتعالى للحوادث من خلقه، وتنزهه عن الولد، والوالد، والشبيه، والنظير .

• (٢) سورة الشورى الآية : ١١ .

(١) سورة الإخلاص .

(٣) سورة الذاريات الآية : ٤٩ .

خامساً :

قيام الله تعالى بنفسه :

معناها : عدم احتياجه سبحانه لأحد، في الذات، والصفات، والأفعال .
فهو الغنى عن العالمين، والعالمون كلهم فقراء إليه، فكما أن الفقر والاحتياج وصف لازم للمخلوقات كلها، فإن الغنى وصف ذات لازم لله سبحانه وتعالى.
أدلتها: قول الله تعالى : (يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله، والله هو الغنى الحميد، إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد ، وما ذلك على الله بعزيز)^(١) .
وغنى الله غنى مطلق لا يشبه غنى البشر، بل أعلى وأجل، فهو غنى يليق بجلال الله سبحانه وتعالى، فإن غنى البشر محدود له نهاية، بخلاف غناه سبحانه وتعالى، وغنى البشر يخاف عليه من الزوال، وغنى الله لا زوال له أبداً ، وغنى البشر سبقه الفقر، لكن غنى الله سبحانه وتعالى غنى أزلى لا أول له .

سادساً :

الوحدانية :

معناها : أن الله سبحانه وتعالى: واحد في ذاته واحد في صفاته ، واحد في أفعاله، ليس له شريك في ملكه، وليس له ولد، ولا زوجة، لأنه ليس بحاجة إلى شيء من ذلك إنما يحتاج إليها العاجز .
وتأمل معى هذه الآيات الكريمات الطيبات، أحضر قلبك وأقرأها وكأنها تنزل عليك الآن، يعمر قلبك بتوحيد الله ، وتنزيهه، وعلوه، وأن له صفات الجمال، والكمال، والجلال، قال الله سبحانه وتعالى :

(قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى الله خير أما يشركون . أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها إله مع الله، بل هم قوم يعدلون. أمن جعل الأرض قرارا، وجعل خلالها أنهارا، وجعل لها رواسي، وجعل بين البحرين حاجزا، إله مع الله؟ بل أكثرهم لا يعلمون. أمن يجيب المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء، ويجعلكم خلفاء الأرض إله مع الله قليلا ما تذكرون. أمن

(١) سورة فاطر الآية : ١٥ ، ١٦ ، ١٧ .

يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن يرزقكم من السماء والأرض إله مع الله تعالى الله عما يشركون . أمن يبدأ الخلق ثم يعيده، ومن يرزقكم من السماء والأرض، إله مع الله ؟ قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين(١) .

بعض المعانك من الآيات السابقة(٢) :

* يقول الله أمرا رسوله - صلى الله عليه وسلم - أن يقول : (الحمد لله) أى: على نعمه على عباده، من النعم التى لا تعد ولا تحصى، وعلى ما اتصف به من الصفات العلى والأسماء الحسنى، وأن يسلم على عباد الله الذين اصطفاهم، واختارهم، وهم رسله وأنبيأه الكرام ، عليهم من الله أفضل الصلاة والسلام . ومعنى (آله خير أما يشركون) : استفهام إنكارى على المشركين فى عبادتهم مع الله آلهة أخرى .

** ذكر سبحانه أنه المنفرد بالخلق، والرزق، والتدبير، بون غيره ، فهو الذى خلق السموات فى ارتفاعها ، وصفائها، وما جعل فيها من الكواكب النيرة، والنجوم الزاهرة ، والأفلاك الدائرة، وخلق الأرض فى استقالها، وكثافتها، وما جعل فيها من الجبال، والسهول والفيافى، والقفار ، والزروع والأشجار، والثمار، والبحار، والحيوان على اختلاف الأصناف، والأشكال، والألوان ، وغير ذلك .

ومعنى : (حدائق) : أى : بساتين .

و (ذات بهجة) : أى منظر حسن وشكل بهى .

و(ما كان لكم أن تنبوا شجرها) : أى : لم تكونوا تقدرتون على إنبات أشجارها، وإنما يقدر على ذلك الخالق الرازق المستقل بذلك المنفرد به بون ما سواه .

و (إله مع الله) : أى إله مع الله يعبد، وقد تبين لكم ولكل ذى لب أنه الخالق، الرازق، أو يكون المعنى: إله مع الله فعل ذلك (بل هم قوم يعدلون) أى يجعل المشركون لله عدلا، ونظيرا .

*** ومعنى (جعل الأرض قرارا): أى قارة ساكنة ثابتة لا تميد ولا تتحرك

١ - سورة النمل الآيات : ٥٩ : ٦٤ .

(٢) هذه المعانك فى هذه الآيات مستلة من تفسير ابن كثير ٣/٣٦٩ - ٣٧٢ ط، دار التراث مصر.

بأهلها، ولا ترجف بهم، فإنها لو كانت كذلك لما طاب عليها العيش والحياة.
 (رواسى) : جبالا شامخة ترسى الأرض وتثبتها لئلا تميد بالناس .
 (جعل بين البحرين حاجزا) أي جعل بين الماء العذب ، والمالح حاجزا، أي:
 مانعا يمنعها من الاختلاط لئلا يفسد هذا بهذا ، وهذا بهذا .
 **** معنى ذلك: أن الله هو المدعو عند الشدائد، المرجو عند النوازل لا
 غيره، وقد سبق قول الإمام جعفر الصادق فارجع إليه .
 ***** معناها : مَنْ غير الله وضع من العلامات الهاديات، كالنجوم
 والدلائل الأرضية ما يهتدى به الناس فى البر والبحر، وكذلك من غيره يرسل
 الرياح دليلا على نزول المطر؟! لا إله إلا الله، لا إله إلا الله، لا إله إلا الله .
 وقال سبحانه وتعالى : (قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد، ولم
 يكن له كفوا أحد) (١) .
 وهذه السورة على وجازتها تضمنت الوجدانية لله سبحانه وتعالى، واشتملت
 على ما لم يشتمل عليه غيرها، ولهذا سميت سورة الإخلاص، لتجريدها التوحيد
 من شوائب الشرك والوثنية .
 روى الإمام أحمد فى مسنده عن أبى بن كعب - رضى الله عنه - فى سبب
 نزولها أن المشركين قالوا : يا محمد ، انسب لنا ربك، فأنزل الله تبارك وتعالى :
 (قل هو الله أحد الله الصمد...) (٢) إلخ السورة .
 وقد ثبت فى الصحيح «أنها تعدل ثلث القرآن» (٣) .
 وبيان ذلك : أن القرآن اشتمل على ثلاثة مقاصد أساسية :
 أولها : الأوامر والنواهي المتضمنة للأحكام والشرائع العملية التى هى
 موضوع علم الفقه والأخلاق .
 ثانيها : القصص والأخبار المتضمنة لأحوال الرسل عليهم الصلاة والسلام

(١) من شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية تأليف / محمد خليل هراس ص ٣٤ ، ٣٥ ط.
 إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالسعودية .
 (٢) راجع المسند ج ٥ ص ١٣٤ ، وأخرجه أيضا الترمذى فى سننه كتاب التفسير (سورة الإخلاص).
 (٣) راجع صحيح البخارى كتاب فضائل القرآن باب فضل: قل هو الله أحد، وكذا مالك فى الموطأ
 كتاب القرآن حديث رقم ١٧ وقد أخرجه أصحاب السنن الأربع .

مع أمهم وأنواع الهلاك التي حاقت المكذبين لهم وأحوالهم، والوعد والوعيد، وتفصيل الثواب والعقاب .

ثالثها : علم التوحيد، وما يجب على العباد من معرفة الله بأسمائه، وصفاته: وهو أشرف الثلاثة، ولما كانت سورة الإخلاص قد تضمنت أصول هذا العلم، واشتملت عليه إجمالاً، صرح أن يقول (ﷺ) إنها تعدل ثلث القرآن .

والإليك بعض مبادئ هذه السورة ليتضح لك بعض ما ذكرنا:

(الله أحد) دلت على نفى الشريك من كل وجه، فى الذات، وفى الصفات، وفى الأفعال ، كما دلت على تفرد سبحانه بالعظمة، والكمال، والمجد ، والجلال والكبرياء، ولهذا لا يطلق لفظ أحد فى الإثبات - ضد النفى - إلا على الله عز وجل، وهو أبلى من واحد .

(الله الصمد) قد فسرهما ابن عباس - رضى الله عنه - بقوله : السيد الذى كمل فى سؤده، والشريف الذى كمل فى شرفه، والعظيم الذى قد كمل فى عظمتة، والحليم الذى قد كمل فى حلمه، والغنى الذى قد كمل فى غناه، والجبار الذى قد كمل فى جبروته، والعليم الذى قد كمل فى علمه، والحكيم الذى قد كمل فى حكمه، وهو الذى قد كمل فى أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله عز وجل، هذه صفته لا تنبغى إلا له، ليس له كفاء، وليس كمثل شئ .

وأما توحيد التنزيه فيؤخذ من قوله تعالى : (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد)، أى: لم يتفرع عنه شئ، ولم يتفرع هو عن شئ، وليس له مكافئ، ولا مماثل ولا نظير .

وقال سبحانه : (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون، عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون^(١)).

(١) المرجع السابق ص ٣٥ - ٣٧، وتفسير ابن كثير ج٢ والآيتان من سورة المؤمنون رقم: ٩٢، ٩٣ .

سأبها :

صفة القدرة :

وهذه الصفة واضحة بينة لكل من نظر في كون الله الفسيح، فإن كل شيء ناطق بقدرته سبحانه من الذرة إلى المجرة، ذلك أنه على كل شيء قدير، وكل شيء إليه فقير، وكل أمر عليه يسير، فقدوته لا حدود لها إنما هي قدرة مطلقة .

وآيات القرآن ناطقة بذلك بأجمل بيان وأفضل عرض ، قال تعالى :

(يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون، الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعملون)(١).

وقال تعالى : (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما ، فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر، فتبارك الله أحسن الخالقين، ثم إنكم بعد ذلك لميتون، ثم إنكم يوم القيامة تبعثون، ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق، وما كنا عن الخلق غافلين، وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكنناه فى الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون، فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون، وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للأكليين، وإن لكم فى الأنعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون، وعليها وعلى الفلك تحملون)(٢).

ثامنا :

صفة الإرادة :

معناها: أن الله سبحانه وتعالى يخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه من الصفات المتقابلة فيجعله: طويلا أو قصيرا، أسود أو أبيض، عالما أو جاهلا ، فهو سبحانه يتصرف فى ملكه كيف شاء وكما أراد .

قال تعالى : (إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون)(٣).

وتأمل معك هاتين الآيتين الكريمتين :

(قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من

(١) سورة البقرة الآيتان : ٢١ ، ٢٢ .

(٢) سورة المؤمنون الآيات من ١٢ : ٢٢ . (٣) سورة النحل الآية : ٤٠ .

تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير، إنك على كل شيء قدير، تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب^(١).

فتأمل معك قوله :

(مالك الملك) الملك التام الدائم الشامل لا ملك البشر الزائل الناقص، المحدود الحادث الذى أتى بعد أن لم يكن .

و (تؤتى الملك من تشاء) فهو سبحانه يملك من يشاء من ملكه، يملكه إياه تمليك العارية ، إنه (إيتاء) بلا مشقة ، فلم يصل أحد إلى شيء من الملك بقواه؛ إنما هو محض عطاء الله لينظر الله أيتصرف فيه كما أمره، لأنه هو المالك الحقيقى، أم لا، فيسترده منه، كما قال: (وتنزع الملك ممن تشاء) وتأمل معنى (النزع) إنه أخذه بلا مشقة على أنه عطاء، ومع ذلك لما أراد أن يأخذه منه تشبث به تشبيثا كبيرا، لكن لا يجدى ذلك شيئا .

ثم هو سبحانه يعز من يشاء ويذل من يشاء، بلا معقب على حكمه ، وبلا مجبر عليه، وبلا راد لقضائه ، فهو صاحب الأمر كله، وما يجوز أن يتولى هذا الاختصاص أحد من دون الله، والله - سبحانه وعز وجل - يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء بالقسط والعدل، ويعز من يشاء ويذل من يشاء بالقسط والعدل ، فهو الخير الحقيقى فى جميع الحالات وهى المشيئة المطلقة، والقدرة المطلقة على تحقيق هذا الخير فى كل حال (بيدك الخير إنك على كل شيء قدير)^(٢).

وقال سبحانه : (لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور، أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير)^(٣).

وقال تعالى : (فعال لما يريد)^(٤).

وقال تعالى : (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين)^(٥).

(١) سورة آل عمران الآيتان ٢٧ ، ٢٨ .

(٢) انظر : فى ظلال القرآن ٣٨٤/١ ط. دار الشروق .

(٣) سورة الشورى الآيتان : ٤٩ ، ٥٠ .

(٥) سورة الإنسان الآية : ٢٠ .

(٤) سورة البروج الآية : ١٦ .

ثامنا :

صفة العلم :

ومعناها : انكشاف المعلومات والموجودات وغيرها لله عز وجل انكشافا تاما ، حتى لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء ، وعلم الله ليس كعلم المخلوقات، فعلم الإنسان ، علم حادث أى: حاصل بعد أن لم يكن، لأنه مسبوق بالجهل، وعلم الحق سبحانه أزل، وعلم الإنسان محدود قاصر، فهو علم مشوب بالجهل من جهات متعددة، وعلم الله محيط شامل ، فالغيب عند الله شهادة ، والسر عنده علانية، فليس عند الله غيب وشهادة ، ولا سر ولا علانية، إنما هو عندنا نحن البشر .

قال الله تعالى : (وما تكون فى شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه، وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين)^(١). وقال تعالى : (ألم تر أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شىء عليم)^(٢).

وقال تعالى : (يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور)^(٣).

تاسعا :

صفة الحياة :

يقول العلماء : الحياة هى الصفة التى تصح لموصوفها الاتصاف بالقدرة والإرادة والعلم والسمع، والبصر، فلو لم يكن حيا ما ثبتت له هذه الصفات . وأيضا لابد من القول: إن حياة الله حياة ليست كحياة المخلوقات الحادثة، فهى حياة أزلية وحياتنا مسبقة بالعدم، وحياة الله حياة تامة على غاية التمام والكمال، وحقيقتها لا يعلمها إلا هو، ثم إن حياة الحوادث، يعقبها الموت، أما حياته سبحانه فلا يعتريها شىء من ذلك .

(١) سورة يونس الآية : ٦١ . (٢) سورة المجادلة الآية : ٧ . (٣) سورة غافر الآية : ١٩ .

قال تعالى : (وتوكل على الحى الذى لا يموت)^(١).
وقال تعالى فى آية الكرسي: (اللّٰه لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض، من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ، وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلى العظيم)^(٢).

تأملات فى آية الكرسي :

أولا : هذه الآية أفضل أى القرآن لأنها جمعت من أحكام الألوهية وصفات الإله ما لم تجمعها أية أخرى .

ثانيا : هذه الآية اشتملت على عشر جمل نوجز بيانها فيما يلى :
فقوله: (اللّٰه لا إله إلا هو) إخبار من اللّٰه بأنه المنفرد بالألوهية لجميع الخلق (الحى القيوم) أى الحى فى نفسه الذى لا يموت أبداً، القيم لغيره، (والقيوم) أى القائم بالأمر، فجميع المخلوقات مفتقرة إليه وهو غنى عنها، ولا قوام للموجودات بدون أمره كقوله تعالى : (ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره)^(٣).

وقوله : (لا تأخذه سنة ولا نوم) أى : لا تعتريه غفلة ، ولا ذهول عن خلقه، بل هو قائم على كل نفس بما كسبت، شهيد على كل شيء، لا يغيب عنه شيء ، ولا تخفى عليه خافية (والسنة) النعاس، وهو ما يتقدم النوم من الفتور مع بقاء الشعور.

وقوله : (له ما فى السموات وما فى الأرض): أى : أن الجميع فى ملكه وتحت قهره وسلطانه.

وقوله (من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه): بيان لعظمته وكبريائه عز وجل أنه لا يجرؤ أحد على أن يشفع لأحد عنده إلا بإذنه فى الشفاعة .

وقوله : (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) : دليل على إحاطة علمه بجميع الكائنات ، ماضيها وحاضرها ومستقبلها .

وقوله : (ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء) : معناه: لا يطلع أحد من علم اللّٰه على شيء إلا بما أعلمه اللّٰه - عز وجل - وأطلعاه عليه .

(١) سورة الفرقان الآية : ٥٨ . (٢) سورة البقرة الآية : ٢٥٥ . (٣) سورة الروم الآية : ٢٥ .

وقوله : (وسع كرسیه السموات والأرض)
الكرسى : كما قال الضحاک عن ابن عباس : لو أن السموات السبع
والأرضين السبع بسطن ثم وصلن بعضهن إلى بعض، ماكن فى سعة الكرسي
إلا بمنزلة الحلقة فى المفازة^(١) ، وهو غير العرش .
وقد جاء عن ابن عباس أنه قال : الكرسي، موضع القدمين، والعرش لا يقدر
قدره إلا الله تعالى^(٢) .
والله سبحانه مستغن عن العرش والكرسي محيط بكل شيء وفوقه .
وقوله : (ولا يؤوده حفظهما) أى : لا يثقله حفظ السموات والأرض ومن فيها
ومن بينها، بل ذلك سهل عليه يسير لديه .
وقوله : (وهو العلى العظيم) سبق بيان هذين الاسمين فى شرح أسماء الله
الحسنى فليرجع إليه^(٣) .

عاشرا ، وحاشاكم عشر :

صفة السمع / وصفة البصر :

فإن الله سبحانه وتعالى يسمع كل شيء ، حتى إنه ليسمع دبيب النملة السوداء
على الصخرة الصماء، فى الليلة الظلماء، لا يشغله صوت عن صوت ، ولا
يشوش عليه مشوش .
وكيفية ذلك لا يعلمها أحد إلا هو سبحانه وتعالى .
قال الله - تعالى - : (قد سمع الله قول التى تجادل فى زوجها وتشتكى إلى
الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير)^(٤) .
وقال الله تعالى: لموسى وهارون -عليهما السلام- حينما أرسلهما إلى فرعون

(١) تفسير ابن كثير ٢٠٩/١ ط. التراث .

(٢) أصول العقيدة الإسلامية للأستاذ: عبد المنعم صالح العلى العزى نقلا عن شرح الطحاوية ص ٨٩
ط. دار الوفاء .

(٣) هذه المعانى مستلة من تفسير ابن كثير ٣٠٤/١ - ٣١٠ ، والفتوحات الإلهية على تفسير الجلالين
٢٠٦/١ ، ط. عيسى الحلبى .

(٤) سورة المجادلة الآية : ١ .

(أذهبوا إلى فرعون إنه طغى فقولوا له قولاً لنا لعله يتذكر أو يخشى، قالوا ربنا
إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى، قال : لا تخافوا إنني معكما أسمع
وأرى)(١).

ثأله عشر :

صفة الكلام :

قد أثبت الله لنفسه هذه الصفة في قوله : (وكلم الله موسى تكليماً)(٢) وهو
سبحانه يتكلم بكلام ولا نقول: إن كلامه ليس بحرف ولا صوت، إنما نقول: إنما
هو متكلم بكلام سمعه موسى عليه السلام حقيقة لا مجازاً، وكيفية ذلك لا
يعلمها إلا الله .

وبذلك تثبت لله سبحانه ما أثبتته لنفسه كما أثبتته حقيقة، ونكل الكيفية إلى
علمه فنقدسه سبحانه عن تشبيهه بالخلائق .

وقال سبحانه : (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام
الله)(٣).

وكلمات الله لا حصر لها، لا يستطيع أحد لها عدا، كذا قال :

(قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو
جئنا بمثله مدداً)(٤).

وقال : (ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة
أبحر ما نفدت كلمات الله)(٥).

(١) سورة طه الآيات : ٤٣ : ٤٦ .

(٢) سورة النساء الآية : ١٦٤ .

(٣) سورة التوبة الآية : ٦ .

(٤) سورة الكهف الآية : ١٠٩ .

(٥) سورة لقمان الآية : ٢٧ .

أثر الإيمان بالله على هذا النحو

بما أن عقيدة الإسلام ليست عقيدة سلبية جامدة، وليست معرفة نظرية مجردة، وأنها عقيدة إيجابية دافعة، فإن لها ثمارا وآثارا في حياة صاحبها يلمسها ويجنيها في الدنيا - فيما يتعلق بصلته بالله، وفيما يتعلق بصلته بالحياة، وفيما يتعلق بمعاملته للناس، وفي الآخرة نعيم مقيم، ونوجز هذا فيما يلي :

١ - أن يكون المسلم علي يقين أن الله وحده له حق التشريع، وأن التعدي على هذا الحق من قبل أى مخلوق كان، إنما هو شركة مع الله سبحانه وتعالى، وادعاء لشئ لا يملكه إلا الله .

حيث أنه (الواحد - الحكم - وأنه لا إله إلا هو) .

٢ - مراقبة الله سبحانه وتعالى في كل حين حيث أنه (عليم-سميع - بصير) مستشعرا أن الله يرانى، وأنه لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء .

٣ - شكر الله سبحانه وتعالى على نعمه التي لا تحصى فهو (الخالق - البارئ - الرزاق) .

٤ - التوكل على الله وحده بركنيه (الاعتماد على الله - والثقة بالله تعالى) وذلك بمرافقة الأخذ بالأسباب، فالتوكل أن تأخذ بالأسباب ولا تعتمد عليها إنما تعتمد على مسببها سبحانه وتعالى .

٥ - حب الله سبحانه حبا لا يصل إليه حب شئ دونه، وإلا كان الإيمان ناقصا (ارجع إلى الآية رقم ٢٤ من سورة التوبة وأقرأها وتأملها) .

٦ - الإخلاص لله سبحانه وتعالى ، لأنه مطلع على ما في الصدور .

٧ - عدم الخوف من غير الله تعالى حيث أنه (النافع - الضار - الرزاق - المحيى - المميت) وغيره لا يملك شيئا من ذلك ، بل غيره عاجز فقير مسكين .

٨ - أن الإيمان ينشئ في النفس العزة، والكرامة، فلا يطأطئ رأسه أمام أحد من الخلق، ولا يتضرع إليه، ولا يتكفف له، ولا يخاف منه، وهذه الصفات لا توجد في غير المؤمن بالله الذي علم أنه لا إله إلا الله ، وقراء قوله تعالى : (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) ^(١) ، (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم

(١) سورة المنافقون الآية : ٨ .

مؤمنين)(١).

٩ - وكما ينشئ الإيمان ، العزة ، والكرامة ، والقناعة ، وغنى النفس ، فإنه فى ذات الوقت ينشئ فى الإنسان خلق التواضع ، لأنه يؤمن أن الذى وهبه ما به من نعم هو الله ، ويستطيع أن يسلبها منه فى لحظة واحدة ، إنما يكون خفيض الجناح للناس ، فلا يتكبر ، ولا يتفاخر ، ولا يتعاضم على أحد ، ومن أبرز معانى التواضع :

أن ينقاد للحق ويقبله ممن جاء به دون نظر إلى شخصه ، فيفتح الله له آفاقا من معرفة الحق ، والعمل به ، وإلا صرفه الله عن ذلك ، (سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشدا لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ...)(٢).

١٠ - والإيمان كذلك يمنح المؤمن قوة عظيمة من العزم والإقدام ، والصبر والثبات حينما يضطلع بمعالى الأمور فى الدنيا ابتغاء مرضاة الله ، لأنه على يقين أن وراءه قوة ملك السموات والأرض ، تؤيده وتأخذ بيده فى كل مرحلة من مراحلها ، فيكون رسوخه أعلى من رسوخ الجبل ، فلا تكاد أى مصيبة من المصائب أن تثبطه عما يكون قد عقد من عزم .

١١ - الثبات على الحق وألا يخاف الإنسان فى الله لومة لائم ، ولا يخشى جبروت متجبر ، فانظر : كيف صنع الإيمان بسحرة فرعون لما آمنوا !!! إنهم كانوا فى الصباح يحاربون الحق وأمسوا مؤمنين شهداء ، حيث قالوا لفرعون لما وعدهم (اقض ما أنت قاض ، إنما تقضى هذه الحياة الدنيا إنا آمنة بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى)(٣).

١٢ - وبإيجاز واختصار كل خلق حميد وتصرف رشيد ثمرة من ثمار الإيمان ، وكل خلق سىء وتصرف أجمق إنما أثر من آثار الكفر ، أو ضعف الإيمان بالله سبحانه وتعالى ، فاستعرض الأخلاق جميعا وقس نفسك عليها واعرف نفسك واستدرك التقصير وحقق أخلاق (لا إله إلا الله محمد رسول الله) .

١٣ - وكذلك من ثمرات الإيمان سكينه النفس ، وإصلاح البال ، واطمئنان القلب والإحساس بالأمن ، هذه النعم التى رزقها الله المؤمن وإن كان فقيرا ،

(١) سورة آل عمران الآية : ١٣٩ . (٢) سورة الاعراف الآية : ١٤٦ . (٣) سورة طه الآية : ٧٢ ، ٧٣ .

وحرّمها الكافر، وضعيف الإيمان وإن كان غنياً، لأن هذه النعم لا ينالها الإنسان من خارجه إنما تتبع من نفسه وداخله .

قال تعالى : (هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم)^(١).

وقال تعالى : (والذين آمنوا وعملوا الصالحات وأمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم)^(٢).

وقال تعالى : (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب)^(٣).

وقال تعالى : (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتنون)^(٤).

١٤ - ومن ثمرات الإيمان الرضا .

فالمؤمن راض عن ربه ، راض عن نفسه، راض عن الكون والحياة، راض بما قدره الله عليه، راض بما قسم الله له من رزق^(٥).

١٥ - إن وحد الله تعالى ، وعبدته حق عبادته لا يجوز له أن يوالى من حاد الله ورسوله - يهودا أو نصارى أو كافرين - لأن الله نهى عن ذلك .
والموالاة : المحبة ، والنصرة .

قال تعالى : (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوالون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آبائهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وايدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم رضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون)^(٦). وسيأتى بيان هذا المعنى فى آخر الكتاب .

(١) سورة الفتح الآية : ٤ . (٢) سورة محمد الآية : ٢.

(٣) سورة الرعد الآية : ٢٨ . (٤) سورة الأنعام الآية : ٨٢ .

(٥) راجع فى هذه المعانى السابقة : مبادئ الإسلام لأبى الأعلى المودى من ص ٨٤ - ٩١ ، وكتاب الإيمان والحياة د/ يوسف القرضاوى كله، وتعريف عام بدين الإسلام للشيخ على الطنطاوى من ص ٨٦ - ١٠١ والعقائد الإسلامية للشيخ / سيد سابق من ص ٧٥ - ٨٠ .

(٦) سورة المجادلة الآية : ٢٢ .

أشياء منافية للتوحيد :

يتنافى مع الإيمان بالله وتوحيده أمور كثيرة وهى أنواع :

- ١ - بعضها تشتد مناقضته للتوحيد حتى تطرح الإنسان بعيدا عن مجال الإيمان والإسلام، لأنها لا يمكن أن تجتمع معه بحال من الأحوال .
- ٢ - وبعضها إذا حدثت مع اعتقاد فيها، وفى أثرها، كانت ملحقة بالأولى، فتخرج الإنسان عن حدود الإيمان .
- وإذا حدثت بدون اعتقاد، كانت ذنوبا كبيرة يستوجب صاحبها العقاب إن لم تدركه مغفرة من الله ورحمة .
- ٣ - وهناك ذنوب ومعاصي منافية للإيمان لكن لا تخرج عن الإيمان كلية إنما تضعفه، إلا إذا استحلها الإنسان مع تحريمها بنصوص صريحة لا تحتل غير التحريم ، وقد أجمع العلماء على تحريمها .
- فليس كل مناف للإيمان والتوحيد مخرج عن الإسلام، أو فى درجة واحدة، ومن هنا ندرك سر تقسيم أمور الشرك إلى شرك أصغر، وإلى شرك أكبر؛ والشرك الأكبر إلى ما هو ظاهر، وإلى ما هو خفى .
- وبالجملة: فقد عد العلماء الذنوب والمعاصي من جملة الكفر، أو الشرك، لكن (الكفر أو الشرك) الذى لا يخرج صاحبه عن دين الإسلام إلا ما جاء فيه نص صريح واضح يقتضى ذلك بشروطه .

ويجدر بيان ذلك بإيجاز شديد يقتضيه المقام :

أولا : الشرك بالله .

الشرك بالله معناه : أن يعطى الإنسان لغير الله صفة لا يستحقها إلا الله . سواء كان ذلك بالقول، أو بالفعل، أو بالاعتقاد .

والمشرك بالله تائه ضائع، يسير على غير هدى ، ويمشى على غير استقرار . قال الله تعالى : (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير، أو تهوى به الريح فى مكان سحيق)^(١) .

وهو بشركه يوجب على نفسه العقوبة فى نار جهنم وحرمانه جنة ربه .

(١) سورة الحج الآية رقم : ٢٦ .

(إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار، وما للظالمين من أنصار)^(١).

فمقتضى التوحيد : ألا يعبد العبد إلا الله .

وأن يعبد الله عز وجل بما شرع .

فتوجه العبد بالعبادة لغير الله شرك صريح، سواء كان هذا الغير ملكا من الملائكة، أو خلقا من الجن، أو كان إنسانا من البشر، أو نجما من النجوم، أو كوكبا من الكواكب، أو جمادا، أو حيوانا، أو شجرا، فكل من فعل شيئا من ذلك كان كافرا بالله عز وجل، ولا يصدق عليه اسم الإيمان بالله بحال .

قال الله تعالى : فى عبادة الملائكة والجن : (ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون. قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون. فالיום لا يملك بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نفعا ولا ضرا ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون)^(٢).

وقال تعالى : فى عبادة البشر : (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم، وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون)^(٣).

وتسمى عبادة الرجال ومن صورها: الرضا بغير الله حاكما ومشرعا، أو السماح لبعض الناس أيا كانوا بالقيام بالتشريع وسن القوانين، فيحلون الحرام ويحرمون الحلال، ويضعون لهم الأنظمة، والمبادئ، والأفكار .

وذلك لأن الذى له حق التشريع هو من خلق الخلق . لذا قال سبحانه :

(ألا له الخلق والأمر)^(٤). فالذى له الخلق هو الذى له أن يأمر ويشرع أو يأذن لغيره أن يقوم بذلك، والله لم يأذن لأحد فى هذا الأمر أبدا (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله)^(٥).

ويستبين ذلك بحديث عدى بن حاتم : قال ابن كثير :

روى الإمام أحمد، والترمذى ، وابن جرير من طرق عن عدى بن حاتم

(١) سورة المائدة الآية : ٧٢ .

(٢) سورة سبأ الآيات : ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ .

(٣) سورة التوبة الآية : ٣١ .

(٤) سورة الأعراف الآية : ٥٤ .

(٥) سورة الشورى الآية : ٢١ .

رضى الله عنه أنه لما بلغته دعوة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فر إلى الشام، وكان قد تنصر في الجاهلية، فأسرت أخته وجماعة من قومه، ثم من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على أخته وأعطاهما، فرجعت إلى أخيها فرغبته في الإسلام وفي القنوم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فتقدم عدى إلى المدينة، وكان رئيساً في قومه طيء، وأبوه حاتم الطائي المشهور بالكرم، فتحدث الناس بقنومه، فدخل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفي عنق عدى صليب من فضة، وهو يقرأ هذه الآية (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله) قال : فقلت: إنهم لم يعبدوهم، فقال: بلى، إنهم حرموا عليهم الحلال، وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم، فذلك عبادتهم إياهم، وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : يا عدى ما تقول : أضررك أن يقال : الله أكبر ؟ فهل تعلم شيئاً أكبر من الله؟ ما يضررك أن يقال : لا إله إلا الله ، فهل تعلم إلهاً غير الله ؟ ثم دعاه إلى الإسلام فأسلم، وشهد شهادة الحق، قال : فلقد رأيت وجهه استبشر ثم قال : (إن اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون)(١).

وقال في شأن عبدة الأفلak من دون الله، حكاية عن الهدد، ذلك الطائر الذي عرف الله وأنه المستحق للعبادة دون سواه: (فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتكم من سبأ نبأ يقين، إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم ، وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزيّن لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون. ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون الله لا إله إلا هورب العرش العظيم)(٢).

وقال في شأن عباد الأصنام: (واتل عليهم نبأ إبراهيم. إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون. قالوا نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين. قال هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون. قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون. قال أفأرأيتم ما كنتم تعبدون. أنتم وأبائكم الأقدمون. فإنهم عدوا لى إلا رب العالمين، الذي خلقتى فهو

(١) تفسير ابن كثير ٢/٢٤٨، ٢٤٩ ط. مكتبة التراث الإسلامى . والحديث أخرجه أحمد والترمذى وابن

جرير من طريق عن عدى ..

(٢) سورة النمل الآيات : ٢٢ : ٢٦ .

يهدين، والذي هو يطعمنى ويسقن، وإذا مرضت فهو يشفين، والذي يعيتنى ثم يحيين، والذي أطعم أن يغفر لى خطيئتي يوم الدين^(١).

وقال فى شأن عباد الحيوان - كقوم موسى حينما اتخذوا العجل إلها من دون الله : (واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين)^(٢).

ومما ورد فى شأن تعظيم الأشجار وأنه من قبيل الشرك .

عن أبى واقد الليثى قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركون سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط ، فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله : اجعل لنا ذات أنواط ، كما لهم ذات أنواط ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الله أكبر ، إنها السنن، قلتم والذي نفسى بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى « اجعل لنا إلها كما لهم آلهة، قال إنكم قوم تجهلون » لتركبن سنن من كان قبلكم »^(٣).

ومن الأشياء المنافية للتوحيد :

السحر : وهو عزائم ورقى، وقد يؤثر فى القلوب والأبدان فيمرض، ويقتل، ويفرق بين المرء وزوجه .

أما حكم السحر : فقد قال بعض العلماء منهم أبو حنيفة، ومالك، وأحمد بن حنبل: إنه كفر .

وقال الشافعى : إن كان سحره من قبل ما اعتقده أهل بابل من التقرب إلى الكواكب وأنها تفعل ما يلتمس منها، فهذا كفر .

وإن كان سحره بأنوية وأشربة معينة فهذا لا يكفر ولكن يائس إثما عظيما، إلا أن يعتقد أن السحر مباح، فهذا كفر .

ومما يدل على أنه كفر قوله تعالى : (وما يعلمان من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتننة فلا تكفر)^(٤).

وقد ورد عن عمر أنه كتب : (أن اقتلوا كل ساحر وساحرة)^(٥).

وقال تعالى : (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت

(١) سورة الشعراء الآيات : ٧٠ : ٨٢ .

(٢) سورة الأعراف الآية : ١٤٨ .

(٣) أخرجه أحمد فى المسند ج٥/٢١٨ وأخرجه الترمذى وصححه . (٤) سورة البقرة الآية : ١٠٣ .

(٥) جزء من حديث أخرجه أحمد فى ج١/١٩٠ وقال محققه إسناده صحيح ج٣/١٢٣ المحقق برقم ١٦٥٧ .

والطاغوت) (١).

قال عمر : الجبت : السحر ، والطاغوت : الشيطان .

ومن السحر ما يسمى «النشرة» :

وهي نوع من حل السحر عن المسحور، ولا يكاد يقدر عليه إلا من يعرف السحر، وقد جاء في الحديث عن جابر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سئل عن النشرة فقال: «هي من عمل الشيطان» (٢).

وحكمه : إن كان حل السحر برقية وتعوذات وأدوية مباحة جاز ذلك وهو ما أفتى به الإمام سعيد بن المسيب حينما سئل: رجل به طب (سحر) أو يؤخذ عن امرأته أيحل عنه أو ينشر؟ قال: لا بأس به إنما يريدون به الإصلاح، فأما ما ينفع، فلم ينه عنه .

ادعاء مغرفة الغيب [التنجيم - الكهانة - الخرافة]

الكاهن : هو الذي يأخذ عن الجن مسترق السمع، وكانوا قبل البعثة كثيرين، وأما بعد بعثة الرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإنهم قليل لأن الله حرس السماء بالشهب .

والخراف : هو الذي يدعى معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق، أو الضالة ونحو ذلك .

عن حفصة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : «من أتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة» (٣).

ورود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «من أتى عرافا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد - صلى الله عليه وسلم -» (٤).

ومن الكهانة : التطير .

كان في الجاهلية إذا أراد الإنسان فعل شيء نظر إلى الطير واتجاهها وبني

(١) سورة النساء الآية : ٥١ .

(٢) رواه أحمد في ج ٢ ص ٢٩٤ وأبو داود في كتاب الطب .

(٣) رواه مسلم في كتاب السلام حديث : ٢١٢٥ ، وأخرجه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه ومالك .

(٤) أخرجه الحاكم وقال صحيح على شرط البخاري ومسلم، وأخرجه أبو داود وأحمد في ج ٢ ص ٤٣٩ .

(٥) منفق عليه . بخاري طب ، باب الجزام : حديث : ٥٧٠٧ ، ومسلم : سلام - حديث - ١٠٩٠١٠٩ . ١١١ .

مقصده على توليتها، فكان التطير يصدهم عن مقاصدهم .
وقد نهى الشرع عن ذلك، فقد جاء في الحديث عن أبي هريرة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « لا عدوى، ولا طيرة، ولا هامة ، ولا صفر» (١) .
والمعنى : « لا عدوى» أى: أن الأمراض التى تنتقل من مريض إلى مريض لا تنتقل بنفسها ولا تصيب الصحيح بنفسها إنما بقدر الله .
«والطيرة» : سبق بيانها .

«والهامة» : البومة تقع على بيت أحدهم، فيتشاءم منها .
«صفر» قيل : إنها حبة تكون فى البطن تعدى .
وقيل : شهر من الشهور العربية كان العرب تقول : إنه شهر مشنوم .
سبب النهى عن ذلك : أنها منافية للتوكل على الله، وفيها تعلق القلب بأشياء لا تأثير لها خوفاً وطمعاً، وكل ذلك لا أصل له، بل هى خرافات زينها الشيطان للناس لا ينبغي لمسلم أن يتعلق بشيء منها، ويجب على الإنسان إذا تطير أن يمضى فى ما يريد، فلا يرجع. فإن الطيرة شرك، وهى منافية للتوكل. والمعنى فيه توكل على الله وعدم الأخذ بأمور الشرك.
ورد عن ابن مسعود مرفوعاً :

«الطيرة شرك، وما منا إلا ولكن يذهب الله بالتوكل» (١).
ومعناه : وما منا إلا وقع فى قلبه شيء من ذلك، ولكن الله يذهب بالتوكل عليه .
ورد كذلك عن عتبة بن عامر قال: ذكرت الطيرة عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: أحسنها الفأل، ولا ترد مسلماً، فإذا رأى أحدهم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتى بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بك» (٢).

ومن ذلك (التنجيم) وهو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية، والمنهى عنه هو ما يدعيه أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التى ستقع فى مستقبل الزمان كتغير الأسعار، ووقوع الحوادث التى يزعمون أنها تدرك

(١) أخرجه أبو داود فى كتاب الطب، الترمذى فى كتاب السير وقال : حسن صحيح. وابن ماجه فى الطب، وأحمد فى ج ١ ص ٣٨٩، ٤٣٨، ٤٤٠ . وقال : محققه : إسناده صحيح .
(٢) رواه أبو داود فى كتاب الطب ، وأحمد فى ج ٢ ص ٢٨٧، ج ٣ ص ٣٤٩ ..

معرفتها بمسير الكواكب من مجاريها، واجتماعها، واقتراقها؛ يدعون أن لها تأثيراً فى السفليات؛ وهذا حكم على الغيب وتعاط لعلم قد استأثر الله به، فلا يعلم الغيب سواه^(١).

التوجه بالعبادة أو النسك لغير الله .

فلا يجوز للإنسان أن يعبد غير الله أو يوجه عبادته وقصده بها لغير الله قال الله تعالى : (قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له)^(٢).

وعن على - رضى الله عنه قال : «حدثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات: لعن الله من ذبح لغير الله، لعن الله من لعن والديه، لعن الله من أوى محدثاً، لعن الله من غير منار الأرض»^(٣).

ومنار الأرض : العلامات التى تفرق بين حق الإنسان وحق جاره .

وعن طارق بن شهاب أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «دخل الجنة رجل فى ذباب، ودخل النار رجل فى ذباب، قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزونه أحد حتى يقرب له شيئاً، فقالوا لأحدهما قرب، قال: ليس عندي شيء أقرب ، قالوا له : قرب ولو ذباباً، فقرب ذباباً، فخلوا سبيله فدخل النار، وقالوا للآخر قرب، فقال: ما كنت لأقرب لأحد شيئاً دون الله عز وجل ، فضربوا عنقه فدخل الجنة»^(٤).

وفيه ألا يذبح الإنسان لغير الله، ولا يذبح بمكان يذبح فيه لغير الله، ذلك أن الذبح نسك وعبادة، فإذا توجه به الإنسان لغير الله كان شركاً، أما عدم ذبحه بمكان يذبح فيه أهل الشرك أو كان يذبح فيه لغير الله فسد للزريعة، ولأنه فيه موافقة لهم، ولو فى الظاهر، ونحن مأمورون بمخالفتهم ظاهراً وباطناً، ولئلا تمر الأيام فينسى الناس ويزعمون أن المسلم كان يقرب هنا نسكاً لغير الله .

فعن ثابت بن الضحاك - رضى الله عنه - قال : نذر رجل أن ينحر إبلا

(١) الجامع الفريد / شرح كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ١٢٧ .

(٢) سورة الأنعام الآية : ١٦١ ، ١٦٢ .

(٣) أخرجه مسلم فى كتاب الأضاحى حديث رقم : ٤٤، وأحمد فى ج١/٨٥٨/٨٥٤ .

(٤) رواه الإمام أحمد .

ببؤانة فسأل النبي صلى الله عليه وسلم - فقال : هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد ؟ قالوا : لا ، قال : فهل كان فيها عيد من أعيادهم ؟ قالوا : لا ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : أوف بنذكرك ، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ، ولا فيما لا يملك ابن آدم ^(١).

ومعنى «العيد» الاجتماع المعتاد من أهل الجاهلية، والعيد يطلق على زمان الاجتماع، وعلى مكان الاجتماع أيضا، ويطلق على العمل الذي يحدثه الناس في زمان أو مكان ما بصورة معتادة .

ولا يجوز كذلك أن يستعيز الإنسان بغير الله، إنما تكون الاستعاذة بالله وحده لا شريك له .

والاستعاذة معناها : الاستجارة بالله مما يخاف والالتجاء، والتحرز، والاعتصام بالله، فتقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فإني تخاف من أن يوسوس لك، ويوقعك في المعصية، ويلهيك عن ذكر الله، والاستعاذة تكون بالله أو بصفة من صفاته، فتقول : معوذًا ولدك الصغير .

«أعيزك بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة» ^(٢) كما جاء في الحديث .

وتقول : «أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر» ^(٣) إن كنت مريضا، والمعوذتان آخر سورتين في القرآن الكريم في ترتيب المصحف .
ورد أنه «ما تعوذ المتعونون بمثلها» ^(٤) :

وقد قال تعالى : في شأن من استعانوا بغير الله :
«وأنه كان رجال من الإنس يعاونون برجال من الجن فزادوهم رهقا» ^(٥).
قال السدي : كان الرجل يخرج بأهله، فيأتى الأرض فينزلها، فيقول : أعوذ بسيد هذا الوادى من الجن أن أضرب أنا فيه، أو مالى، أو ولدى، أو ما شيتى .
قال قتادة : فإذا عاذ بهم من نون الله رهقتهم الجن الأذى عند ذلك ^(٦).

(١) رواه أبو داود بإسناد صحيح ، وابن ماجه فى كتاب الكفارات الحديثان : ٢١٣٠ ، ٢١٣١ .

(٢) أخرجه البخارى - الكلم الطيب ص ٥١ . (٣) أخرجه مسلم - الكلم الطيب ص ٥٣ .

(٤) سورة الفلق من تفسير ابن كثير ج٤ ص ٧٢ والرواية عند النسائى عن عقبه بن عامر .

(٥) سورة الجن الآية : ٦ . (٦) تفسير ابن كثير ٤/٤٢٨ ، ٤٢٩ .

الرقعة والتماثر ونحوهما :

الرقعة : تعويذات تذكر، أو تكتب لدفع البلاء .
حكمها : إذا كانت بقراءة القرآن أو بدعاء مأثور عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ، أو دعاء لا شرك فيه ، بكلام مفهوم فهو جائز .
 وإن كانت بغير ذلك كانت غير جائزة ، وفيها ورد النهي وسيأتي .
 كما يشترط أن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها وإنما تؤثر بتقدير الله تعالى .

أمثلة من الرقعة المأثورة :

قال ابن عباس رضى الله عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن، والحسين -رضى الله عنهما- «أعيذكما بكلمات الله التامات من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة» ويقول : «أن أباكما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق»^(٢).

«اللهم رب الناس اذهب البأس، واشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً»^(٣).

«أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر»^(٤).

التماثر :

التماثر جمع تميعة وهي ما يعلق بأعناق الصبيان من خرزات وعظام لدفع العين أو غير ذلك من الأمور .

حكمها :

أنها ممنوعة شرعا في أكثر أقوال العلماء، وذلك لتعلق القلب بغير الله في دفع ضرر أو جلب نفع . وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أنه من الشرك قال :

(١) أخرجه البخارى - الكلم الطيب - ص ٥١ ، ٥٢ مطابع المختار الإسلامى .

(٢) متفق عليه - الكلم الطيب ٥٢ .

(٣) أخرجه مسلم - الكلم الطيب ص ٥٣ .

(٤) جزء من حديث طويل رواه أحمد في مسنده ج١ ص ٢٨١ وقال محققه إسناده حسن، وأخرجه وأبو

داود عن ابن مسعود وكذا ابن ماجه .

«إن الرقى والتمايم والتولة شرك»^(١).
وقد رخص بعض السلف فيما إذا كان المعلق من القرآن منهم ابن مسعود
رضى الله عنه .

والتولة :

هو شيء يصنعونه يزعمون أنه يحجب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأته .
حكمه :

أنه ضرب من السحر وقد سبق إيراد النهى عن ذلك آنفا .
والقلائد :

ما يعلق في رقبة البعير من أوتار قديمة يزعمون أنها تعصم من العين، وكان
أهل الجاهلية إذا أخلقوا الوتر أبدلوه بغيره وقلدوا به النواب لدفع العين منها .
وقد أمر - صلى الله عليه وسلم - بقطع الأوتار التي علفت على الإبل لما كان
أهل الجاهلية يعتقدون فيها .

عن أبي بشير الأنصاري - رضي الله عنه - أنه كان مع رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - في بعض أسفاره فأرسل رسولا : «لا يبقين في رقبة بغير قلادة من
وتر - أو قلادة إلا قطعت. فإن هذه الأوتار والقلائد لا ترد من أمر الله شيئا»^(٢).

* ومن الصور الشركية على ما سبق :

لبس الحلقة :

وذلك كمن يلبس حلقة أو خاتما ظنا منه أنه يقي من المرض، فإن ظن أنه
يمنع من الصرع، أو يمنع من رؤية المنامات المزعجة، أو يقي من العين، أو غير
ذلك، فإن هذا لو اعتقد صاحبه أنه بنفسه ينفع أو يضر، كان شركا أكبر يخرج
الإنسان من حظيرة الإسلام والعياذ بالله .

ومجرد فعله كبيرة من الكبائر، لا يفلح فاعلها إن مات عليها دون توبة .
فعن عمران بن حصين - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم -

(١) رواه البخاري ومسلم (الذلل والمجان رقم ٣٧١).

(٢) متفق عليه : بخاري جهاد باب ما قيل في الجرس ونحوه في أعناق الإبل ، ومسلم : لباس، حديث :
١٠٥ ، وأخرجه أبو داود وأحمد ومالك في الموطأ حديث : ٢٩ كتاب صفة النبي ﷺ .

رأى رجلا فى يده حلقة من صفر فقال: ما هذه ؟ قال: من الواهنة. فقال: انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهنا، فإنك إن مت وهى عليك ما أفلحت أبدا»^(١).
ومعنى الواهنة : عرق يصيب منكب الإنسان وفى اليد كلها، فيرقى منها .
وقيل هو مرض يأخذ فى العضد يصيب الرجال دون النساء .
ومعنى «لا تزيدك إلا وهنا» أى أن المشرك الذى تعلق قلبه بغير الله يعامل بنقيض قصده، لأنه علق قلبه بما لا ينفعه ولا يضره .
وفى قوله فى نهاية الحديث «فإنك إن مت إلخ ...» ما يفيد أن مرتكب الشرك الأصغر لا يعز بالجهالة . «والفلاح» هو الفوز، والظفر، والسعادة .
تخليق الودع :

وهو فى معنى تعليق التيممة والودع :
وقد ورد فى الحديث : «من تعلق تيممة فلا أتم الله له ، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له»^(١). ومعنى «فلا ودع الله له» : أى لا جعله فى دعة وسكون .
لبس الخيط :

فقد ورد عن حذيفة - رضى الله عنه - أنه رأى رجلا فى يده خطي من الحمى فقطعة وتلا قوله تعالى : (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون)^(٢).
وفى هذا بيان : أن لبس الخيط من المرض نوع من الشرك بدليل تلاوة الآية وفيها: «إلا وهم مشركون» ومجرد التعليق شرك أصغر، أما إن صاحبه اعتقاد الضر والنفع فيها فهو الشرك الأكبر، الذى هو نهاية البداية فى الشرك الأصغر، لذا استدل بالآية التى هى فى الشرك الأكبر على الأصغر، عافانا الله من الشرك كله دقه وجله، ظاهره وخفيه . ويلحق بما ذكر كل ما فى معناه والله أعلم .

(١) رواه أحمد ٤٤٥/٤، وابن ماجه رقم ٣٥٣١ وإسناده حسن.

(٢) أخرجه الإمام أحمد عن عقبه بن عامر فى المسند ج٤/١٥٤.

(٣) سورة يوسف الآية: ١٠٦.

الإيمان باليوم الآخر

أولاً : أهمية الإيمان باليوم الآخر كركن من أركان الإيمان :
تظهر أهمية ذلك وعداده في أركان الإيمان في أكثر من موضع ، كما في قوله تعالى : (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر ...) (١) .

(٢) أن في الإيمان تحقيق العدل الإلهي ومجازاة المحسن على إحسانه والمسيء على إساءته ، والانتصار من الظالم للمظلوم ، حتى الحيوانات .
ولنبيين ذلك بمثال :

لو أن إنسانا ارتكب جريمة من الجرائم وتعدى على الناس ، فانتهك عرضاً ، واغتصب مالا ، أو ضرب إنساناً ، كل ذلك بعيداً عن القانون ، وأقلت ولم يعاقب في الدنيا العقاب الذي ينبغي أن يكون ، فإن العدل الإلهي يقتضى أن يكون لمثل هذا عقاب ، وألا يفلت نهائياً فيستوى مع من كف يده وجوارحه عن كل هذه الجرائم (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون . فتعالى الله الملك الحق لا إله هو رب العرش الكريم) (٢) .

ليعلم الظالم أنه إن أقلت من عقاب الدنيا فلن يفلت من عقاب الآخرة .
(٣) المعرفة بالإيمان باليوم الآخر عنصر هام في جعل الإنسان له هدف يسعى إليه ، ويتخذ من الأسباب ما يوصله إليه ويحقق له الغاية ، وبدون ذلك يبقى الإنسان لا هدف له في الحياة ، ويفقد سموه الروحي ، ويعيش كماتعيش الأنعام ، فتكون المادة إلهه من دون الله ، ويلهيه الأمل ، ويظن أن الدنيا هي نهاية الأمر فلا حساب ولا عقاب ، وبذلك تفسد حياة الناس ، كما هي فاسدة عند من لا يؤمن بيوم الحساب .

(٤) ومن اهتمام الإسلام بهذا اليوم ذكره في فاتحة القرآن ، التي يقرؤها المسلم في صلاته كل يوم سبع عشرة مرة في الفرائض ، ونحو من مثلها في النواقل الراتبة ، حتى لا يغيب عنه استشعار هذا اليوم وجعله نصب عينيه دائماً ، وقد كثرت الآيات والأحاديث عن هذا اليوم وذلك لاختلاف الناس في تصورهم عن هذا اليوم ، ولا يملك الإيمان الحق به غير المسلم ، لأنه أمر لا يمكن أن يتصور إلا طريق الوحي المنزل من عند الله - تعالى - كما سيأتي .

(١) سورة البقرة الآية (١٧٧)

(٢) سورة المؤمنون الآية : (١١٥ ، ١١٦) .

ثانيا : طرف من الآيات والأحاديث :
من الآيات

(١) قال الله تعالى : (ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالأخرة هم يوقنون . أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) (١) .

(٢) وقال تعالى : (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون . إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار مهطعين مقتضى رؤوسهم ليرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء) (٢) .

(٣) (يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإننا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى منكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج . ذلك بأن الله هو الحق . وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شيء قدير ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور) (٣) .

(٤) (فلينظر الإنسان مم خلق . خلق من ماء دافق . يخرج من بين الصلب والترائب . إنه على رجعه لقادر) (٤) .
ومن الأحاديث :

(١) قال رسول الله ﷺ - (يحشر الناس حفاة عراة غرلا ، قالت عائشة فقلت : الرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم إلى بعض ؟ قال : الأمر أشد من أن يهمهم ذلك) (٥) .

(٢) وقال أيضا : (يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب فى الأرض عرقهم سبعين ذراعا ، وأنه يلجمهم حتى يبلغ آذانهم) (٦) .

(١) سورة البقرة من الآية (٢ - ٥) (٢) سورة إبراهيم الآية (٤٢ ، ٤٣)

(٣) سورة الحج الآيات (٥ - ٧) (٤) سورة الطارق الآيات (٥ - ٨) .

(٥) هذا الحديث عن عائشة - وقد رواه البخارى ومسلم والنسائى ، وابن ماجه .

انظر : (الترغيب والترهيب ٤ / ١٩٣ دار التراث) .

(٦) هذا الحديث عن أبى هريرة وقد رواه البخارى ومسلم . انظر (السابق ٢ / ١٩٤) .

(٣) وقد ورد عن ابن عباس : أن العاص بن وائل أخذ عظما من البطحاء ففثه بيده ، ثم قال لرسول الله ﷺ : أحيى الله هذا بعدما أرى ؟ فقال رسول الله ﷺ - " نعم يميئك الله ثم يحييك ، ثم يدخلك جهنم " فنزلت الآيات (أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين . وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم . قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون . أوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم . إنما أمره إذا أرد شيئا أن يقول له كن فيكون . فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون) (١) .
توضيح وبيان :

لقد أنكر فريق من الناس البعث بعد الموت وقالوا : (إن هى إلا حياتنا الدنيا ، وما نحن بمبعوثين) وقالوا : هذا أمر بعيد ، فلم نر من مات قد رجع إلينا منهم أحد ، بل يأكله التراب وتفنیه الأرض بعد الوفاة ؟
ولقد أبان القرآن خطأ هذا الزعم وسلك بذلك مسلكين هامين - من قبيل الحجج العقلية :

المسلك الأول :

بيان قدرة الله الظاهرة - وقد زاد ظهورها بتقدم علم الطب - فى خلق الإنسان وإمراره بهذه الأطوار مفهية تدل على البعث من ناحية أن القادر على الإنشاء قادر على الإعادة .
المسلك الثانى :

تشبيه الإنسان بالنبات فى أطواره وحصاده وإعادته ، ولذلك قال القرآن :
(والله أنبتكم من الأرض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا) (٢) .
فأنت تأخذ البذرة (الحبة) وتضعها فى الأرض ، ثم تأخذ فى النمو التدريجى ، وكذلك الإنسان توضع نطفته فى رحم أمه ثم بعد ذلك يأخذ فى النمو التدريجى من نطفة إلى علقة .. إلخ .
ثم يخرج النبات من الأرض ، ثم ينضج ويستمر فى نضجه حتى الحصاد .

(١) الحديث أخرجه ابن أبى حاتم كما قال ابن كثير فى تفسيره ٢ / ٥٨١ .

والآيات من سورة يس رقم (٧٧ - ٨٣) .

(٢) سورة نوح الآية (١٧ ، ١٨) .

وكذلك الإنسان بعد إخراجِه من الرحم ، يستمر في نموه ثم يدركه الموت . ونرجع إلى النبات بعد حصاده يؤخذ إلى الأجران ، كأجران القمح ، وغيره - ليدرس ويفصل الحب عن القشر .

كذلك الإنسان بعد موته يحمل إلى أجران المقابر ليدرسه الدود هناك ويفصل أجزاءه عن بعض .

بعد درس النبات : إذا أخذت هذا الحب أو بعضه ، فبذرت مرة أخرى ينبت . فكذلك الإنسان لا يستبعد أن يخرج الله وينبته بعد درسه في أجران المقابر . وكيف يستبعد الإنسان ذلك ، ولم يستبعد قصة النبات ؟ والإنسان مثل النبات ! ويسير معه طورا طورا .

وهذان المسلكان جمعهما الله في آية الحج (آية : هـ) ، وإن أفردت كل واحدة في مواضع في القرآن .

وشيء آخر : أنه لا دليل لمن قال : إننا لم نر إنسانا خرج ويعث بعد موته ؛ ذلك لأن علم رؤيته ليست دليلا على عدم الوجود أو الوقوع ، لكن غاية ما هنالك أنه لا يدري ولا يعرف ماذا يكون بعد الموت ، فمثلا لو قال : إننى لم أر طائفة قط ، لم يكن دليلا على عدم وجود الطائفة ، بل لو ادعى أن ذلك دليل لأحققه الناس جميعا . فعقيدة الإيمان باليوم الآخر لا تتنافى مع مقتضى العقل أبدا ، ولا العلم ، بل العقل والعلم يؤيدان ذلك . قال الأستاذ . أبو الأعلى المودودي :

جاء في هذه العقيدة : أن الإنسان تسجل عليه أعماله الحسنة والسيئة ، وستعرض عليه في كتاب يلقاه منشورا يوم القيامة ، فهذا نجد اليوم ما يثبت :

كان الناس يظنون في الزمن الماضي أن الصوت الذى يخرج من أفواهنا يندمج في الهواء ويضمحل فيه بعدما يحدث فيه شيء من التموج ، ولكن قد عرف أخيرا أن لكل صوت أثر يتركه فيما حوله من الأشياء ، ومن الممكن ضبطه وإحياءه فيما بعد ، وعلى هذا المبدأ أوجد الإنسان الحاكى (الجراموفون) وفى هذا ما يدل على أن كل حركة تصدر عنا في هذه الدنيا تسجل في أشياء تصدمها بوجه من الوجوه ، وإذا علمنا هذا فقد علمنا علم اليقين أن جميع أعمالنا في هذه الدنيا مسجلة مدونة ويمكن إحيائها وإحضاها مرة أخرى (١) **أسماء يوم القيامة :**

تعددت أسماء هذا اليوم وذلك تبعا لتعدد ما يحدث فيه من مشاهد ، فكل

(١) انظر كتاب : ألف باء الإسلام (مبادئ الإسلام) ص ١١٢ مكتبة التراث الإسلامى .

اسم يدل على مشاهد من المشاهد ، أو هول من الأهوال ، أو معنى آخر متعلق بذلك اليوم .

فمن أسمائه :

- (١) يوم الدين ، وذلك فى قوله تعالى: (مالك يوم الدين) (١) أى يوم الجزاء .
 (٢) ويوم الحساب . قال تعالى : (إني عذت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب) (٢) .
 (٣) القارعة . قال تعالى : (القارعة ما القارعة) (٣) أى التى تقرر الناس بأهوالها .

- (٤) يوم التناد . قال تعالى : (وياقوم إني أخاف عليكم يوم التناد . يوم تولون مدبرين ما لكم من الله عاصم) (٤) أى يتنادى فيه أهل الجنة وأهل النار أو التناد بالتشديد يعنى يوم الهروب من نداء البعير إذا هرب . ذلك أن الناس يهربون من الموقف فتحجزهم الملائكة أو تحجزهم البحار المضربة بالنار .
 (٥) يوم التلاق . قال تعالى : (لينذر يوم التلاق يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء) (٥) أى : يتلاقى فيه المؤمنون معا ، والكافرون معا .
 (٦) الحاقة . قال تعالى : (الحاقة ما الحاقة) (٦) أى تظهر فيه حقائق الأمور .
 (٧) الطامة . قال تعالى : (فإذا جاء ت الطامة الكبرى يوم يتذكر الإنسان ماسعى) (٧) ومعنى الطامة : الداهية العظيمة التى يغشى الناس هولها .
 (٨) الواقعة . قال تعالى : (إذا وقعت الواقعة ، ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة) (٨) أى : الثابتة الوقوع الآتية لا ريب فيها ، فهى آتية لامحالة .
 (٩) يوم الحسرة . قال تعالى (وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون) (٩) والحسرة: الندامة على ما فرط الإنسان فى حق الله .
 (١٠) ومن أسمائه :يوم الفصل ، ويوم العرض، ويوم الصاخة ، ويوم الخلود ، ويوم الخروج ، ويوم التغابن ، ويوم الفتح ، ويوم تولون مدبرين ، ويوم الأزفة ، إلى غير ذلك من الأسماء (١٠) .

- | | |
|---|----------------------------------|
| (١) سورة الفاتحة الآية (٤) | (٢) سورة غافر الآية (٢٧) |
| (٣) سورة القارعة الآية (٢ ، ١) | (٤) سورة غافر الآية (٣٢ ، ٣٣) |
| (٥) سورة غافر الآية (١٥ ، ١٦) | (٦) سورة الحاقة الآية (٢ ، ١) |
| (٧) سورة النازعات الآية (٣٤ ، ٣٥) | (٨) سورة الواقعة الآية (١ - ٣) |
| (٩) سورة مريم الآية (٣٩) . | |
| (١٠) راجع : التذكرة للربطى ص ٢١٩ وما بعدها . ط . الريان . | |

مقدمات يوم القيامة

لقد أخفى الله سبحانه علم يوم القيامة، فلا يعلم متى تقوم إلامه سبحانه وتعالى .

قال تعالى : (يسألونك عن الساعة أيان مرساها . فيم أنت من ذكرها إلى ربك منتهاها) (١) .

وقال تعالى : (يسألونك عن الساعة أيان مرساها . قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلامه ثقلت في السموات والأرض لاتأتاكم إلا بغته يسألونك كأنك حفي عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (٢) .

وجعل النبي ﷺ - السؤال عنها من التكلف ومما لا ينبغي عليه عمل ، حينما سأله رجل متى الساعة؟ فبين أن هذا السؤال لا يجدي ، وجهه إلى المفيد بقوله : وما أعددت لها ؟ فقال له : ما أعددت لها كثير عمل ولا قليله إلا أني أحب الله ورسوله ، فقال - ﷺ : " المرء مع من أحب " (٣) .

وفي حديث جبريل : حينما سأل النبي ﷺ - عن الساعة ، فقال له : ما المسئول عنها بأعلم من السائل ، ثم سأله عن أماراتها فأجاب ، ثم قال : " إنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم " (٤) ما يدل على أنه ليس من أمور الدين معرفة موعد قيام القيامة ، إذ لو كان من أمور الدين لبينها ، إنما الذي هو منها بيان أشراتها وهاك بيانها بإيجاز شديد :

علامات الساعة قسمان :

علامات صغرى : أي أنها ظهرت قبل القيامة بوقت طويل ، وتسبق علامات تكون قرب القيامة بوقت يسير ، وهذه العلامات ليست متعلقة بأحداث ضخمة كتغيرات كونية . والثانية : علامات كبرى .

العلامات الصغرى :

(١) بعثة الرسول ﷺ وختم الرسالات به ، بل بعثة عيسى عليه الصلاة والسلام قال تعالى : (ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون وقالوا آلأهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون إن هو إلا عابد -

(١) سورة النازعات الآية (٤٢ - ٤٤) (٢) سورة الأعراف الآية (١٨٧)

(٣) هذا الحديث ، أخرجه البخاري نحوه ولفظه : أنت مع من أحببت في كتاب فضائل الصحابة مناقب عمر حديث رقم : ٣٦٨٨ وفي مواضع أخر من الصحيح راجع مسند الدارمي رفاق (٧١) وأحمد جده / ١٥٦ ، ١٦٦ .

(٤) هذا الحديث متفق عليه (اللؤلؤ والمرجان رقم (٥)) .

أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبنى إسرائيل ، ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة فى الأرض يخلفون وأنه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون . (١) .

وفى الحديث : " بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى " (٢) .

(٢) أن يصبح السادة والرؤساء من سفهاء الناس .

وبالجملة تنقلب الأمور والأحوال كما جاء فى الحديث : " إن بين يدي الساعة سنين خداعة ، يصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق ، ويخون فيها الأمين ويؤمن فيها الخائن " (٣) .

وفى حديث : " وينطق فيها الروبيضة ، قالوا : وما الروبيضة يارسول الله ، قال : السفية ينطق فى أمر العامة " (٤) .

(٣) أن يتناول رعاء الشاء العالة الفقراء فى البنيان . وقد ورد فى الحديث فى أمارات الساعة : " وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان " (٥) .

وقد ورد فى حديث واحد بيان أكثر من عشر علامات ، ولنقتصر على ذكر الحديث وعليك استنباطها : عن أبى هريرة رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال : " لاتقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة دعوتهما واحدة ، وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله وحتى يقبض العلم ، وتكثر الزلازل ، ويتقارب الزمان ، وتظهر الفتن ، ويكثر الهرج وهو القتل ، وحتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم رب المال من يقبل صدقته ، وحتى يعرضه فيقول الذى يعرضه عليه : لا إرب لى به ، وحتى يتطاول الناس فى البنيان ، وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول : يا ليتنى مكانه ، وحتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورأها الناس أجمعون ، فذلك حين : (لاينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً) (٦) ولتقوم الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعان ،

(١) سورة الزخرف الآية (٥٧ - ٦١)

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى كتاب الطلاق ، والترمذى فى الفتن ، ومسلم كتاب الجمعة حديث رقم :

٤٣ ، وابن ماجه مقدمة ، أحمد فى جـ ٣ / ١٣١ .

(٣) أخرجه الإمام أحمد فى المسند جـ ٣ / ٢٢٠ ، وابن ماجه فى كتاب الفتن : باب شدة الزمان برقم ٤٠٣٦ .

(٤) أخرجه الإمام أحمد والطبرانى .

(٥) متفق عليه (اللؤلؤ والمرجان رقم (٥)) (٦) سورة الانعام الآية (١٥٨) .

ولايطويان ولتقوم الساعة ، وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلايطعمه ، ولتقوم الساعة وهو يليب حوضه فلايسقى فيه ، ولتقوم الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلايطعمها^(١) .

بيان بعض المعاني في الحديث : قواه (ففتان عظيمتان) المراد بهما على بن أبى طالب ومن معه ، ومعاوية ومن معه (يقبض العلم) وذلك بموت العلماء . (تكثر الزلازل) المراد : أنها تكثر كثرة زائدة على الحد المعهود ، وإذا قال ابن حجر : " المراد بكثرتها : شمولها ودوامها " ذلك تمهيدا للزلزلة الكبرى .

(يتقارب الزمان) قد يكون المعنى : أن الأيام تمر سريعا ، كماورد في حديث ، أو قلة البركة في الوقت أو أنه يحدث تقدم المسافات الطويلة في وقت يسير . (وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول ياليتنى مكانه) أى يتمنى الموت ممايرى من الفساد خوفا على دينه ونفسه من الفتنة .

(لقحته) بكسر اللام وسكون القاف : الناقة ذات اللبن ، وفي ذلك بيان أن القيامة تكون بغتة . (يليب حوضه) : أى : يصلحه .
العلامات الكبرى :

١ - طلوع الشمس من المغرب : وقد سبق ذكره في الحديث السابق .

٢ - خروج الدابة التي تكلم الناس ضحج .

قال تعالى : (وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) (٢) .

٣ - المهدي :

أن يخرج رجل اسمه على اسم رسول الله ، واسم أبيه على اسم أبيه أيضا وهو من أهل بيت رسول الله ﷺ - يملأ الدنيا عدلا كما ملئت جورا وظلما (٣) .

٤ - خروج المسيح الدجال :

ويفتن الناس ويدعى الألوهية ، وتظهر على يديه خوارق العادات ، وصفته : أنه أعور ، عينه العوراء طافية كأنها عنبية ، ويثبت الله المؤمنين فلايتبعونه ، وأنه يطوف البلاد كلها إلا مكة والمدينة .

(١) أخرجه البخارى في صحيحه في كتاب الفتن الذى حدثنا الذى بعده باب ذكر النجال يرقم

(٧١٢١) فتح البارى ١٣/٨٨-٩٦ ط الريان .

(٢) سورة النمل الآية () .

(٣) راجع سنن أبى داود كتاب المهدي من الحديث رقم : ٤٢٧٩ حتى الحديث رقم ٤٢٩٠ خاصة

حديث رقم : ٤٢٨٢ .

٥- نزول سيدنا عيسى بن مريم :

حكماء عدلا مقسطا ، يحكم بالقرآن ، ويقتل المسيح الدجال ، ويكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ثم يمكث ماشاء الله أن يمكث ثم يموت ويصلى عليه ، ويدفن .

٦ - الريح التي تقبض أرواح المؤمنين جميعها :
فلا يبقى إلا شرار الناس فتقوم عليهم الساعة (١)

الشفاعة

والشفاعة أنواع :

النوع الأول : الشفاعة العظمى الخاصة بالنبي ﷺ من بين سائر الأنبياء والمرسلين في أن يأتي الرب سبحانه وتعالى لفصل القضاء .

النوع الثاني : شفاعة النبي ﷺ في أقوام تساوت حسناتهم وسيئاتهم فيشفع لهم فيدخلون الجنة .

النوع الثالث : شفاعته في أقوام قد أمر بهم إلى النار فلا يدخلونها .

النوع الرابع : شفاعته في رفع درجات من يدخل الجنة فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم .

النوع الخامس : الشفاعة في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب .

النوع السادس : الشفاعة في تخفيف العذاب عن يستحقه .

النوع السابع : شفاعته لجميع المؤمنين أن يؤذن لهم في دخول الجنة .

النوع الثامن : شفاعته في أهل الكبائر من أمته ، ممن دخل النار فيخرجون منها ، وهذه الشفاعة يشاركه فيها الملائكة ، والنبيون ، والمؤمنون أيضا . (٢)

وكل هذه الشفاعات بإذن الله : (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) (٣) .

(١) في هذه العلامات تفاصيل ليس هذا موطن بيانها ، وما ذكر فيه كفاية . انظر على سبيل المثال

التذكرة ص ٧٠٩ ط . الريان . وانظر النهاية في الفتن والملاحم ج ١ ص ٤٠٠ وحتى ص ٢٤٢ .

(٢) شرح المعقيدة الطحاوية ص ١٦٩ - ١٧٦ بتصرف .

(٣) سورة البقرة آية (٢٥٥) .

بعض مشاهد يوم القيامة إجمالاً

وصف الله سبحانه وتعالى يوم القيامة بأنه يوم عسير ، وبأنه يوم تشيب فيه الولدان ، وذلك لما فيه من الأحداث الجسام والمشاهد الرهيبة ، ذلك أنه يحدث في هذا اليوم انقلاب رهيب في الكون كله ، يشمل الأفلاك والأجرام السماوية ، ويتبدل النظام الذي ألفه الناس ، فالأرض تتبدل غير الأرض والسموات ، والنجوم تتساقط وتتناثر ، والشمس يذهب ضوءها .

والجبال الراسية تكون في ذلك اليوم لا وزن لها ، تكون كالصوف المنفوش وتسير في الفضاء ، وينسفها الله نسفاً ، وما كان الناس يعتزون به ويحرصون عليه يصير مهملًا ويحشر الله عز وجل الوحوش الشاردة ، فتأتي خاضعة مذعنة لأمر الله ، والبحار الواسعة يختل قانونها ونظامها ، فإذا ماؤها يصير ناراً .

وتأتي البنت التي قتلها أبوها في طفولتها خوفاً من العار ، أو الفقير يسألها الله سبحانه عن سبب وأدها وقتلها ، ترى فمابال من وأدها ودفنها ؟ لا شك أن موقفه عسير . وتتطاير الصحف - صحف الأعمال - في هذا اليوم وكل يأخذ كتابه ، فمن أخذ بيمينه ومن أخذ بشماله كما سيأتي . إلى غير ذلك من المشاهد التي ذكرها ربنا في القرآن في سورتي التكويد والانفطار ، ومن أراد أن ينظر إلى القيامة وكأنه يراها بعينه فليقرأ التكويد والانفطار كما ورد في الحديث . (١)

قال الله تعالى :-

(إذا الشمس كورت . وإذا النجوم انكدرت ، وإذا الجبال سيرت . وإذا العشار عطلت وإذا الوحوش حشرت . وإذا البحار سجرت وإذا النفوس زوجت ، وإذا المائدة سئلت بأي ذنب قتلت . وإذا الصحف نشرت . وإذا السماء كشطت . وإذا الجحيم سعرت . وإذا الجنة أزيلت . علمت نفس ما أحضرت) .
وقال سبحانه :

(إذا السماء انفطرت ، وإذا الكواكب انتثرت . وإذا البحار فجرت . وإذا القبور بعثرت . علمت نفس ما قدمت وأخرت) .

وفي هذا اليوم تدنو الشمس من رؤوس العباد ويطول بهم الوقوف وتصهرهم حرارة الشمس ، يتمنى الناس أن ينصرفوا من الموقف ولو إلى الجحيم ، ويبلغ

(١) أخرج الإمام أحمد عن ابن عمر يقول : قال رسول الله ﷺ (من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأى عين فليقرأ : إذا الشمس كورت وإذا السماء انفطرت ، وإذا السماء انشقت) وكذا رواه الترمذي عن (ابن كثير ج٤ / ٤٧٤) .

العرق منهم مبلغا حسب أعمالهم ، فمنهم من عرقه إلى ركبته ، ومنهم من عرقه إلى سترته ، ومنهم من يلجمه العرق إلجاما ، نجانا الله وإياكم من فزع يوم القيامة .

والمشاهد كثيرة عليك بكتاب الله تعرف الكثير منها .
أحوال الناس يوم القيامة ، وشدة الموقف : لاشك أن أحوال الناس يوم القيامة متفاوتة كل على قدر عمله ، ولأنك لك أخى طرفا من ذلك .
قال تعالى : (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) (١) .

وقال تعالى : (وجوه يومئذ مسفرة ، ضاحكة مستبشرة . وجوه يومئذ عليها غبرة ، ترهقها قترة . أولئك هم الكفرة الفجرة) (٢) .

وأقوام يأخذون كتابهم بأيمانهم وأقوام يأخذون كتابهم بشمالهم من وراء ظهورهم ، وأقوام يحاسبون حسابا يسيرا بينهم وبين ربهم سرا ، وآخرون يحاسبون حسابا عسيرا علانية . وأقوام فى ظل عرش الرحمن يوم لا ظل إلا ظله ، وأقوام تصهرهم الشمس ويبلغ العرق منهم مبلغا عظيما كما بنيت .

وأقوام يشربون من حوض رسول الله ﷺ شربة لا ظمأ بعدها .
وأقوام يمنعون ويحرمون ويذابون عن الحوض بسبب أنهم بدلوا وغيروا فى دين الله سبحانه وتعالى .

وأقوام يحشرون مشاة ، وأقوام يحشرون إلى الله وهم راكبون ، ولا يظلم ربك أحدا ، والجزاء من جنس العمل . والأحوال كثيرة جدا ومتفاوتة جدا ، ولأدعك الآن تقرأ كتاب الله وتتنظر فى أخبار رسول الله ﷺ حتى تعرف الكثير منها .
نجانا الله وإياك من فزع يوم القيامة ومن خزي يوم القيامة .
تطالير الصحف :

الصحف هى ماسجل فيه الملائكة أعمال الناس فى الدنيا ، لا يتركون صغيرة ولا كبيرة إلا أثبتوه فيها ، قال تعالى : (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) (٣)
فإذا تاب العبد من ذنوبه توبة نصوحا محيت عنه ، وإلا بقيت كما هى مدونة ، حتى يقوم الناس لرب العالمين ، وتنشر هذه الصحف ويعلن ما كان فيها ، ويلقى كل إنسان كتابه منشورا يقال له : (اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) (٤)

(١) سورة آل عمران الآية (١٠٦) .

(٢) سورة عبس الآية (٢٨ - ٤٢) .

(٣) سورة ق الآية (١٨) .

(٤) سورة الإسراء الآية (١٤) .

فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته ، أخذ كتابه بيمينه ، فيفرح ويرى الناس كتابه ويقرئ الناس ما فيه من الحسنات ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته ، فإنه ، يتمنى أن لو كان الموت نهاية ولم يأخذ كتابه ، قال الحق سبحانه وتعالى " فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرأوا كتابيه . إني ظننت أنى ملاق حساييه . فهو فى عيشة راضية فى جنة عالية قطوفها دانية . كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم فى الأيام الخالية . وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول ياليتنى لم أوت كتابية . ولم أدر ما حساييه . ياليتها كانت القاضية . ما أغنى عنى ماليه . هلك عنى سلطانيه " (١)

الحوض :

وهو حوض عظيم ، ومورد كريم يمد من شراب الجنة ، من نهر الكوثر ، الذى هو أشد بياضاً من اللبن ، وأبرد من الثلج ، وأحلى من العسل ، وأطيب ريحاً من المسك ، وهو فى غاية الاتساع ، عرضه وطوله سواء ، كل زاوية من زواياه ، مسيرة شهر ، وقد ورد فى الأحاديث أن لكل نبى حوضاً ، وأن حوض نبينا ﷺ أكبرها وأحلاها وأكثرها وارداً ، جعلنا الله منهم بفضلهم وكرمهم . (٢)

وقد ورد فى نكر الحوض أحاديث كثيرة رواها من الصحابة بضع وثلاثون صحابياً (٣)

منها : ما رواه البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : " إن قدر حوضى كصابين أيلة إلى صنعاء من اليمن ، وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء " .

وقد جاء كذلك أنه يمنع عنه ويبعد من لم يسر على هدى السنة وابتدع فى دين الله ، وأحدث ما لم يأذن به الله ورسوله .

وقد اختلف فى الحوض والميزان أيهما يكون قبل الآخر بالصحيح أن الحوض قبل ، فإن الناس يخرجون عطاشاً من قبورهم ، فيقدم قبل الميزان والصراط ، والله أعلم . (٤)

(١) سورة الحاقة الآية (١٩ - ٢٩) .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية للإمام أبى العز الأنصرى الحنفى ص ١٦٨ ط دار التراث .

(٣) نكرها الإمام ابن كثير فى كتابه : النهاية فى الفتن والملاحم .

(٤) التنكرة للإمام القرطبى ١ / ٣٤٣ ط دار الجيل بيروت لبنان .

الحساب :

ينبغي أن نعلم أن الله حينما كلف الإنسان أعلمه أنه مايلفظ من قول لاويسجل عليه ، وكذا مايصدر منه من حركة ، وكذا ستشهد عليه جوارحه ، ومواضع الأعمال كلها شهادة .

وكل هذا مقتضى العدل الإلهي ، أن المجرم لايستوى بالمؤمن ، والطائع لايستوى بالعاصي ، والمسلمين لايستون بالكافرين .

لذا قال الله تعالى : (أفجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكون) (١) وقال : (يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بماكانوا يعملون . يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين) (٢) . وقال : (وأخرجت الأرض أثقالها . وقال الإنسان مالها . يومئذ تحدث أخبارها . بأن ربك أوحى لها) (٣) .

وقال : (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا ، وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) (٤) .

فالمؤمنون يسترهم ويلقى عليهم ستره ويحاسبهم حسابا يسيرا يذكرهم بأعمالهم ، فلاينكرون منها شيئا ، فيقول لهم سترتها عليكم في الدنيا وأنا أسترها عليكم اليوم ، ادخلوا الجنة .

وأما غيرهم فيحاسبهم ربهم حسابا عسيرا ويناقشهم ، ويلزمهم الحجة ، ولايكتفون الله حديثا ، وتنطق جوارحهم ، وتشهد الأرض عليهم ، ثم يعفو عن من يشاء ويعذب من يشاء وهو ولى الأمر (لن الملك اليوم لله الواحد القهار) (٥) .

الصراط :

ورد أن الصراط جسر معدود على ظهر جهنم يعبر عليه جميع الخلائق ، وهو أدق من الشعرة ، وأحد من السيف ، يتسع لكل إنسان على قدر عمله ، والناس متفاوتون في العبور عليه ، منهم من يمرعليه كالبرق ، ومنهم من يمر عليه كالريح المرسلة ، ومنهم يمر كالجواد الضامر ، - ومنهم من يسعى سعيا ، ومنهم من يمشى مشيا ، ومنهم من يحبو حبوا ، ومنهم من يقع فيتعلق بالصراط حتى ينجيه الله ، فيعبر ومنهم من يكرس في النار .

(١) سورة القلم الآية (٣٥ ، ٣٦) .

(٢) سورة النور الآية (٢٤ ، ٢٥)

(٣) سورة الزلزلة الآية (٢ ، ٥)

(٤) سورة الأنبياء الآية (٤٧) .

(٥) سورة غافر الآية (١٦) .

والناس على الصراط متفاوتون ، يفترق المنافقون عن المؤمنين ، ويتخلفون عنهم ، ويسبقهم المؤمنون ، ويحال بينهم بسور يمنعهم من الوصول إليهم ، حيث يسعى المؤمنون بما أعطاهم الله من نور على الصراط ، كل نوره على قدر عمله . قال تعالى : (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم . يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل أرجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب) (١) .

الميزان :

والإيمان بالميزان واجب ، فإذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال ، لأن الوزن للجزاء فينبغي أن يكون بعد المحاسبة ، فإن المحاسبة لتقرير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها ، ليكون الجزاء بحسبها .

وهذا الميزان له كفتان حسيتان مشاهدتان ، وأن العامل يوزن مع عمله . قال - عليه السلام - : " إنه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضه ، قال : اقرأوا إن شئتم (فلانقيم لهم يوم القيامة وزنا) (٢) " .

ورود في حديث أن ساقى ابن مسعود - رضى الله عنه - أثقل في الميزان من جبل أحد (٣) ، وقد كانتا دقيقتين .

وجاء في الحديث : " الطهور شطر الإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان " (٤) . وفي الحديث : " كلمتان خفيفتان على اللسان حبيبتان إلى الرحمن ثقيلتان في الميزان ، سبحان الله ويحمده سبحان الله العظيم " (٥) .

ولا يستغرب وزن الأعمال ، فإن الله يحولها أجساداً ، ثم يزنها ، والله على كل شيء قدير .

(١) سورة الحديد الآية (١٢ ، ١٣) .

(٢) رواه البخارى عن أبى هريرة في كتاب التفسير باب (٦) آخر الكهف برقم : ٤٧٢٩ .

(٣) أخرجه أحمد في المسند جـ ١ / ١١٤ وقال محققه إسناده صحيح جـ ٢ / ١٨٠ برقم ٩٢٠ وأخرجه مالك في الموطأ حديث : ٣٥٥ .

(٤) أخرجه الدارمى وضوء : ٢ ، أحمد جـ ٥ ، ٣٤٢ ، ٣٤٤ .

(٥) أخرجه البخارى وهو آخر أحاديثه ورقمه : ٧٥٣٦ .

الجنة والنار :

ذلك هو المصير النهائي للناس ، منهم من يصير إلى الجنة خالدا فيها أبدا ، ومنهم من يصير إلى النار فأما الكافر فإنه يكون فيها خالدا أبدا ، وأما عصاة المؤمنين فإنهم يمكنون فيها ما شاء الله ثم يخرجون إلى الجنة ، فالإيمان بالجنة والنار واجب ، لأنهما من المعلوم من دين الله بالضرورة ، وهما موجودان الآن . والجنة : أنهار ، ومساكن ، وولدان مخلصون يخدمون أهلها ، وحور عین ، أزواج للمؤمنين ، وأشجار ، وفيها طعام وشراب ، وملبس ، ونعيم دائم مقيم ، ولا يمكن لبشر أن يتصوره في الدنيا ، لأن فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر كما أخبر بذلك الحديث عن رسول الله ﷺ . والجنة لا يسمع فيها اللغو ولا التأنيم ، وأهلها إخوان متحابون قد نزع الله من قلوبهم الغل .

وأعلى نعيم الجنة رؤية المؤمنين للحق سبحانه وتعالى ، حيث يتجلى لهم حتى ينظروا إليه فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى وجه الله الكريم . والنار فيها : أودية ، وجبال ، وطعام ، وشراب ، ولباس ، لكن شتان ما بين الأودية التي يسيل فيها صديد أهل النار ، والأنهار في الجنة من ماء غير آسن ، ومن لبن لم يتغير طعمه ، ومن خمر غير مسكرة ، إنما لذة للشاربين ، ومن عسل مصفى ، لا تشويه شائبة ، وشتان ما بين جبال من نار ، وجبال في الجنة من نور ، ومن مسك وغير ذلك ، وشتان ما بين طعام أهل النار من الغسلين والزقوم ، وما بين طعام المؤمنين من كل فاكهة ، ومن الطيور . وشتان ما بين شراب أهل النار من الصديد ، والماء الحميم الذي يقطع الأمعاء ، ويشوي الوجوه ، وما بين الأواني المختمة بما فيها من الشراب الطهور ، من السلسيل ، والكافور ، والزنجبيل .

شتان شتان ، اللهم اجعلنا من أهل الجنة ، ونعوذ بك من عذاب النار .

بعض الآيات والأحاديث في هذا المذهب :

قال تعالى : (مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى ، ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم ، كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم) (١) .

(١) سورة محمد الآية (١٥) .

وقال تعالى :

(والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امرئ بما كسب رهين ، وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون يتنازعون فيها كأسا لا لغو فيها ولا تأثيم . يطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون ، وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون . قالوا إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين . فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم ، إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم " (١) .

وقال تعالى :

[والسابقون السابقون . أولئك المقربون . فى جنات النعيم ثلة من الأولين . وقليل من الآخرين . على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين . يطوف عليهم ولدان مخلدون . باكبواب وأباريق وكأس من معين ، لا يصدعون عنها ولا ينزفون . وفاكهة مما يتخيرون . ولحم طير مما يشتهون . وحور عِين . كامثال اللؤلؤ المكنون . جزاء بما كانوا يعملون ، لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما . إلا قِيلَا سَلَامًا سَلَامًا) (٢) ثم قال فى شأن من هم أقل منزلة من هؤلاء من أهل الجنة أيضا :

(وأصحاب اليمين . ما أصحاب اليمين . فى سدر مخضود ، وطلح منضود ، وظل ممدود . وماء مسكوب . وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة ، وفرش مرفوعة . إنا أنشأناهم أنشاء فجعلناهم أبكارا . عربا أترابا ، لأصحاب اليمين . ثلة من الأولين ، وثلة من الآخرين) (٣) .

وقد جاء أن رسول الله ﷺ - قال : (إن للمؤمن فى الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها فى السماء ستون ميلا ، للمؤمن فيها أهلون ، يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا) (٤)

وعن أبى سعيد ، الخدرى - رضى الله عنه - عن النبى - ﷺ - قال : إن فى الجنة لشجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة سنة ما يقطعها (٥) .

(١) سورة الطور الآية (٢١ - ٢٨)

(٢) سورة الواقعة الآية (١٠ - ٢٦) .

(٣) سورة الواقعة الآية (٢٧ - ٤٠) .

(٤) الحديث متفق عليه واللفظ لمسلم وقد روى عن أبى موسى الأشعرى انظر : رياض الصالحين ص

٦٥٦ ، ٦٥٧ ط . الريان .

(٥) متفق عليه (المرجع السابق ص ٦٥٧)

وعن أبى سعيد وأبى هريرة - رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال :
(إذا دخل أهل الجنة الجنة ينادى مناد : إن لكم أن تحيوا فلاتموتوا أبدا ،
وإن لكم أن تصحوا فلاتسقموا أبدا ، وإن لكم أن تشبوا فلاتهرموا أبدا ، وإن
لكم أن تنعموا فلاتبأسوا أبدا " (١) .
وقال تعالى : **فأهلها** : **شأن النار وأحوال أهلها** :

(هذان خصمان اختصموا فى ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من
نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به مافى بطونهم والجلود ولهم مقامع
من حديد . كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدها فيها ونوقوا عذاب
الحريق) (٢) .

وقال تعالى : (وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال . فى سموم
وحميم وظل من يحوم ، لآبارد ولاكریم ، إنهم كانوا قبل ذلك مترفين . وكانوا
يصرون على الحنث العظيم ، وكانوا يقولون إذا متنا وكنا ترابا وعظاما إنا
لمبعوثون أو أبأؤنا الأولون قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم
معلوم ، ثم إنكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم ، فمائلون
منها البطون . فشاربون عليه من الحميم . فشاربون شرب الهيم هذا نزلهم يوم
الدين) (٣) .

(١) الحديث رواه مسلم برقم (٢٨٣٧) .

(٢) سورة الحج الآية (١٩ - ٢٢) .

(٣) سورة الواقعة الآية (٤١ - ٥٦) .

الإيمان بالملائكة

من هم الملائكة :

هم كائنات نورانية لايتأكلون ، ولا يشربون ، ولا يتزوجون ، خلقوا للعبادة يسبحون الليل والنهار لا يفسدون ، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة ، فمن وصفهم بأنوثة فقد كفر ، ومن وصفهم بذكورة فقد فسق .

بعض خواص الملائكة :

١ - أنهم خلقوا من نور بخلاف الجن ، فقد خلقوا من نار ، وبخلاف الإنس الذين خلقوا من طين .

قال - عليه السلام - : " خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجن من مارح من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم " (١) .

٢ - أن مسكنهم السماء وإنما ينزلون بأمر الله سبحانه وتعالى .

٣ - أنهم فقط الذين وكل الله منهم من ينزل بالوحي على الرسل .

٤ - أنهم قادرون على التشكل ، ولا يظهرون إلا في صورة حسنة ، بخلاف الجن فإنهم يتشكلون في صور مختلفة منها الحسن وغير الحسن ، قال تعالى - في شأن إرسال سيدنا جبريل إلى السيدة مريم - : (فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا) (٢) .

٥ - أن حياتهم طاعة مطلقة لأعصيان فيها كما قدمنا .

قال تعالى : (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) (٣) .

وقال : (بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون) (٤) .

أهمية الإيمان بالملائكة :

الإيمان بالملائكة واجب ، وهو ركن من أركان الإيمان ، لا يكون الإنسان مؤمنا إلا إذا آمن بوجود الملائكة ، ولم يتعد في إيمانه بوجودهم ، كما فعل المشركون ، أما من آمن بوجودهم على حد ما ذكر الله لنا وذكر لنا رسول الله ﷺ فهو المؤمن فهم غيب بالنسبة لنا ، لا يحق لنا أن نتجاوز ما أخبرنا به في

(١) رواه مسلم وأحمد رياض الصالحين رقم (١٨٤٦) من ٦٣٨ ط الریان (٢) سورة مريم الآية (١٧)

(٣) سورة التجریم الآية (٦) . (٤) سورة الأنبياء الآية (٢٦ - ٢٨) .

شأنهم ، لأنه لا طريق لذلك إلا الوحي وكان الإيمان بهم بهذه المثابة من دين الله لما يأتى :

١ - أنهم لهم علاقة قوية بنا تسبق وجودنا وترافقه أثناء وجودنا وبعد وفاتنا ، بل ويوم القيامة ، وبعد أن يصير أهل الجنة إلى الجنة ، وأهل النار إلى النار ، خلق لهم بالإنسان هذا الارتباط ، فلا بد من الإيمان بوجوده ، بل وارتباطهم الأكبر يكمن فى أن الذى نزل بالوحي على الأنبياء منهم ، بمعنى أن التكذيب بوجودهم تكذيب بالوحي ، ويصدق النبى ﷺ وإليك بيان ذلك :

أ - أن من ينفخ روح الإنسان بأمر الله من الملائكة :

وفى الحديث : " إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقى أو سعيد " (١)

ب - أن منهم من ينزل بالوحي كجبريل عليه السلام :

قال تعالى : (وإنه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين) (٢) فالإيمان بهم ضرورى لازم ، لأن التكذيب بوجودهم تكذيب بالوحي ويصدق النبى ﷺ .

ج - أنهم يشاركون بنسب الإنسان فى العبودية لله تعالى ، من وكوع وسجود ، وذكر ، وهم يشاركون المصلين فى التأمين ، ويحضرون صلاة الفجر والعصر من كل يوم .

قال تعالى : (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم) (٣) .

وفى الحديث : " إذا قال الإمام " غير المغضوب عليهم ولا الضالين " فقولوا آمين ، فإن الملائكة يقولون آمين ، وإن الإمام يقول : آمين ، فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه " (٤) .

وفى الحديث : (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، ويجتمعون فى

(١) هذا الحديث متفق عليه (الأربعين النووية رقم : ٤) (٢) سورة الشعراء الآية (١٩٢ - ١٩٥) .

(٣) سورة غافر الآية رقم (٧) .

(٤) متفق عليه بخارى أذان ، ودعوات ، ومسلم صلاة حديث ٧٢٠ وأخرجه مالك فى الموطأ : نداء

حديث ٤٤ وأحمد والترمذى والنسائى وابن ماجه .

صلاة الفجر وصلاة العصر ، ثم يعرج الذين باتوا فيكم ، فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم . كيف تركتم عبادى ، فيقولون : تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون » (١) .

ط - أنهم يصلون لعل المؤمنين وخاظة أهل العلم منهم .

قال تعالى : (هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما) (٢) * .

وفى الحديث : « إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض ليصلون على معلم الناس الخير » (٣) * .

هـ - أنهم يبشرون المؤمنين بثواب العمل الصالح فى الدنيا والآخرة .

قال تعالى : (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم) (٤) .

و - أنهم يحفظون الإنسان ويحفظون عليه عمله بأمر الله .

قال تعالى : (له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظون من أمر الله) (٥) .

قال تعالى : (وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون) (٦) .

ز - أنهم يقومون بتوجيه الإنسان إلى عمل الخير ، وإبهاكه عن الشر .

وفى الحديث : " إن للملك لمة بقلب ابن آدم وللشيطان لمة ، فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق ، وأما لمة الملك فإيعاد بالخير ، وتصديق بالحق ، فمن وجد من ذلك شيئا فليعلم أنه من الله ، وليحمد الله ، ومن وجد الأخرى فليتنوذ من الشيطان ، ثم قرأ : (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم) (٧) .

(١) متفق عليه . (٢) سورة الأحزاب الآية رقم (٤٣) .

(٣) رواه الترمذى فى كتاب العلم حديث رقم : ٢٨٢٦ وقال حديث حسن غريب صحيح . أخرجه البخارى فى كتاب المواقيت والتوحيد ومسلم فى كتاب المساجد حديث ٢١ ، والموطأ والنسائى وأحمد .

(٤) سورة فصلت الآية (٣٠ ، ٣١) .

(٥) سورة الرعد الآية رقم (١١) .

(٦) سورة الإنفطار الآية (١٠ ، ١١) .

(٧) سورة البقرة الآية رقم (٢٦٨) .

والملائكة أعمال أخرى فى الكون بأمر الله سبحانه وتعالى، دل على ذلك القرآن والسنة ،
ففيهم الموكلون بنعيم المؤمنين ، والموكلون بتعذيب العصاة والكافرين إلخ
أثر الإيمان بالملائكة فى حياة الإنسان :

١ - مما سبق يتضح أن الإيمان بالملائكة على النحو الذى بيناه يجعل
الإنسان بعيدا عن الذنوب والمعاصى ، فإن الإنسان إذا شعر أنهم معه
لايفارقونه ، ومن ناحية أخرى مطيعون لله ، فإنه ينبغى ألا يؤذى عباد الله
الأطهار ، وينبغى كذلك أن يشاركهم الطاعة لله ، وفى الحديث : " إن معكم من
لايفارقونكم إلا عند الخلاء وعند الجماع فاستحيوهم وأكرمهم " .

٢ - أن الاتصال بالملائكة سمو للروح وتحقيق للحكمة العليا التى خلق الله
الإنسان من أجلها ، لذا كان الإيمان بالملائكة من البر (ولكن البر من أمن بالله
واليوم الآخر والملائكة) (١) .

٣ - أن الإيمان بهم من الإيمان بالغيب ، وفيه تصديق الإنسان بأخبار ربه ،
وأخبار رسوله ، وتسليم بما جاء عنهم ، وأنه هو الحق المبين ، وإن لم نره ، فهو
أوثق مما نراه بأعيننا ، فيورث الإنسان درجة عالية من اليقين بالله تعالى .

٤ - أن يعتاد الإنسان محبة الصالحين ، ولو لم يكونوا من بنى الإنسان، وفى هذا أثر
طيب فى زيادة الإيمان ومحبة الله تعالى ، وفى عكسه عداوة لله ، رب العالمين .

(قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى
للمؤمنين ، من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين) (٢) .

٥ - ازدياد الشعور بعظمة الله واستشعار رحمته إذ وكل الملائكة بالدعاء
للمؤمنين ، والاستغفار لهم ، والإقدام والشجاعة فى الجهاد حين يستشعر أنهم
يؤيدون المجاهدين ، ويدفعون المؤمن للعمل للجنة ليكون ممن يسلمون عليه ،
والبعد عن أسباب دخول النار ، لئلا يكون ممن يويخونه (٣) .

٦ - العلم بأنهم من عباد الله لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ، ولأغيرهم
إلا بإذن الله سبحانه وتعالى ، قال تعالى - : (وكم من ملك فى السموات لا تغنى
شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) (٤) .

(١) سورة البقرة الآية رقم (١٧٧) .

(٢) سورة البقرة الآية رقم (٩٧ ، ٩٨) .

(٣) انظر : تعريف عام بدين الإسلام للشيخ على الطنطاوى ص ١٥٤ .

(٤) سورة النجم الآية رقم (٢٦) .

الإيمان بالكتب

المراد بالكتب : ما أنزل الله سبحانه وتعالى على رسله من وحى لهداية الناس ، وإخراجهم من الظلمات إلى النور ، فالكتب المنزلة فيها التعاليم الإلهية للناس من أوامر ، ونواه ، وأخبار .

والكتب المنزلة التي نعرفها من خلال الإخبار القرآني : التوراة ، والإنجيل ، وصحف إبراهيم ، وموسى ، والزيور ، والإيمان بالكتب المنزلة كلها إجمالاً من أركان الإيمان لا يكون الإنسان مؤمناً إلا بالإيمان بها كلها ، وتفصيلاً بالكتب المذكورة في القرآن أو بالسنة الصحيحة .

لهذا كان الإيمان بالكتب السماوية كلها من أركان الإيمان ٢

٠ أولاً : إن كل الأنبياء بعثوا بالتوحيد الخالص (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا ننوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) (١) ، (إن الدين عند الله الإسلام) (٢) فالرسالات موضوعها واحد ، والعقيدة حقيقة لا تختلف باختلاف الرسالات ، والأخلاق كذلك ، بل والعبادات في أصولها ، ومن هنا فالرسالة اللاحقة امتداد للتي تسبقها ، والقرآن امتداد لما سبقه من الرسالات ، ومصديق له ومهيمن عليه ، فلا بد من الإيمان بجميعها ، إذ لا تنفصل واحدة عن الأخرى في حقيقتها .
قال تعالى : (إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء) (٣) .

قال تعالى : (وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين) (٤) . وقال تعالى : (وآتيناه داود زبوراً) (٥) .

وقال تعالى : (أم لم ينبأ بما في صحف موسى ، وإبراهيم الذي وفى . ألا تزد وأزدة وزد أخرى . وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى . ثم يجزاه الجزاء الأوفى ، وأن إلى ربك المنتهى . وأنه هو أضحك وأبكى ، وأنه

(٢) سورة آل عمران الآية رقم (٢٥) .

(١) سورة الأنبياء الآية رقم (١٩)

(٤) سورة المائدة الآية رقم (٤٦) .

(٣) سورة المائدة الآية رقم (٤٤)

(٥) سورة النساء الآية رقم (١٦٣) .

هو أمات وأحيا وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى من نقطة إذا تمنى . وأن عليه
النشأة الأخرى . وأنه هو أغنى وأقنى وأنه هو رب الشعري . وأنه أهلك عادا
الأولى . وثمود فما أبقي . وقوم نوح من قبل إنهم كانوا هم أظلم وأطغى (١) .
وقال تعالى : (إن هذا لفى الصحف الأولى . صحف إبراهيم وموسى) (٢) .
وقال تعالى : (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين
يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا) (٣) .

تنبيه : الإيمان بالكتب السابقة يعنى: التى أنزلها الله على الأنبياء لا التى
هى موجودة الآن بتحريفها ، وقد ثبت تحريف الكتب التى نزلت قبل القرآن
بالحس ، والعقل ، والنقل ، أما القرآن فإنه لا يتطرق له التحريف ولا التبديل ، لأن
الله عز وجل تولى حفظه (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) (٤) .

أما الكتب السابقة فإن الله - تعالى - أوكل حفظها إلى علماء كل أتباع
كتاب ، لكنهم حرفوها وبدلوها واشتروا بها ثمنا قليلا ، وعرضا من الحياة الدنيا .
قال تعالى : (إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين
أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه
شهداء) (٥) .

وقال فى بنى إسرائيل : (وقطعناهم فى الأرض أمماتهم الصالحون ومنهم
بون ذلك ويلوناهم بالحسنات والسيئات لعلمهم يرجعون . فخلف من بعدهم خلف
ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وإن يأتهم عرض
مثله يأخذوه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا
ما فيه والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلاتعقلون) (٦) .

ومما يدل على تحريف التوراة ما قاله الأستاذ / محمد فريد وجدى : " ومن
أدلة التحريف الحسية أن التوراة المتداولة لدى النصارى تخالف التوراة المتداولة
عند اليهود (٧) " وكذا تناقضها فى أخبارها ووصف الله عز وجل وكذا أنبيائه

(١) سورة النجم الآية رقم (٣٦ ، ٥١) .

(٢) سورة الأعلى الآية (١٨ ، ١٩)

(٣) سورة الإسراء الآية رقم (٩)

(٤) سورة الحجر الآية رقم (٩) .

(٥) سورة المائدة الآية رقم (٤٤) .

(٦) سورة الأعراف الآية رقم (١٦٨ ، ١٦٩) .

(٧) العقائد الإسلامية للشيخ سابق ص ١٤٧ .

- صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - وهذا أمر يطول شرحه ليس محله هذا المختصر .

ومثل هذا يقال في الإنجيل فإن تعددها وتناقضها فيما بينها في القصة الواحدة في الموقف الواحد لدليل على ذلك ، وقد قال الله تعالى (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير) (١) .

القراءة الكريم كتاب الخلود ،

أولا : القرآن الكريم هو آخر الكتب السماوية نزولا ، فلا كتاب بعده إلى يوم القيامة . قال تعالى : (الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم . نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان) (٢) .

ثانيا : أنه محفوظ بحفظ الله له لا تمتد إليه يد البشر بالتجريف ولا بالتبديل وما هو منذ نزل إلى يومنا هذا يتحدى الناس جميعا أن يغيروا منه شيئا وقد سبق بيان ذلك .

ثالثا : أن الله عز وجل جعله هدى ونور ، وجعله دليل هذا الهدى والنور وفيه دليل صدقه ، ألا وهو أنه كتاب معجز ، فإنه تحدى الناس جميعا والجن كذلك ، أن يأتوا بمثله ، فعجزوا وسيظل عجزهم ظاهرا إلى يوم القيامة .

رابعا : أن الله جعله شاهدا ومصدقا ومهيئنا على ما سبقه من كتب سماوية .
أثر الإيمان بالكتب السماوية ،

١ - العلم بأن دين الله الحق واحد غير متعدد .

٢ - وأن الكتب السماوية في حقيقتها تتعاضد ولا تتعارض في بيان حقيقة التوحيد ورسالات الله ، فالكتب السابقة بشرت بالرسول الخاتم ، والرسول الخاتم صدق ما جاء فيها مما أنزل الله .

(١) سورة المائدة الآية رقم (١٥) .

(٢) سورة آل عمران الآية رقم (١ - ٤) .

الإيمان بالرسول

لقد تعرف الله سبحانه وتعالى إلى خلقه، وعرفهم بما يطلبه منهم من الدين عن طريق رسل اختارهم من بنى البشر ، ليبلغوا عن الله دينه وشرعه ، قال - تعالى : (الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس إن الله سميع بصير) (١) . ولم يكن الرسول إلامن بنى الإنسان ذلك ليتم الاقتداء والبيان ، حيث يتفق قانونه مع قوانينهم ، وليعيش بينهم ويطبق تعاليم ربه ، فيكون البيان بالفعل ، كما هو بالقول ، ولم يكن ملكا ، لأن طبيعة الملائكة ليست كطبيعة الإنسان فالإنسان يمشى على الأرض ، لكن الملائكة تطير ، والإنسان لا يتحمل رؤية الملك على صورته الحقيقية . كذلك قال تعالى : (قل لو كان فى الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) (٢) فلو أرسل الله ملكا لأرسله فى صورة رجل ، ولو أرسله فى صورة رجل ، لكذب المكذبون وقالوا : ليس هذا ملكا إنما هو رجل ، وقد طلب المشركون ذلك فرد القرآن عليهم ، قال - تعالى : (وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون) (٣) . وكذلك أرسل الله الرسل من بنى الإنسان من الرجال منهم لامن النساء . قال الله تعالى : (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم) (٤) . وماورد من الإحياء (والوحى هو الإعلام الخفى) إلى النساء كما أوحى الله إلى أم موسى أن ترضعه ، فإذا خافت عليه رمته فى اليم ، أو إرسال الرسول إليها من الملائكة ليعلمها بشيء - لاعلى سبيل البعثة إلى الناس ، ولادلالتهم على الله - إنما بأمر خاص بها ، كما أرسل جبريل عليه السلام - إلى مريم ليشرها بعيسى عليه الصلاة والسلام ، وعلى نحو ما ذكرنا أوحى الله إلى النحل . قال الله تعالى : (وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين) (٥) .

(٢) سورة الإسراء الآية (٩٤) .

(١) سورة الحج الآية (٧٥) .

(٤) سورة النحل الآية (٤٣) .

(٣) سورة الأنعام الآية (٨ ، ٩) .

(٥) سورة القصص الآية (٧) .

وقال أيضا: (واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا ، فاتخذت من نونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا . قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا) (١)
وقال تعالى : (وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون . ثم كلّي من كل الثمرات فاسلكي سبيل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون) (٢) .

لماذا كان الرسول رجلا ؟

إن الله تعالى حكيم ، والحكمة : وضع الشيء في موضعه ، فإن الرجل غير المرأة في أمور كثيرة ، والرسالة تتناسب وطبيعة الرجل دون المرأة ، فهي تقتضى التحمل الشديد في معاناة الخلق ، والصبر على إيذائهم ، والدعوة بالليل والنهار ، وحمل آيات الجهاد في سبيل الله وهذه الأمور لا تتحملها المرأة ولا تطبيقها بحكم تكوينها قال - تعالى - : (وليس الذكر كالأنثى) (٣) .

ولأن الدعوة تحتاج إلى وفور عقل ، لتحكميه في المواقف المختلفة التي ليس فيها وحى ، والمرأة عاطفتها تغلب على عقلها والواقع يشهد ويؤيد ذلك .
ثم أمر آخر وهو أن هذا هو محض اصطفاء الله واختياره ، فإله يختار لرسالته من يشاء ، والواقع أنه اختار من الرجال لا النساء قال تعالى : (الله أعلم حيث يجعل رسالته) (٤) .

وإذا ما تأملت سيد المرسلين رسولا وجدت أن الدعوة لاحتاج إلى الرجال - فحسب وإنما تحتاج إلى الأشداء من الرجال جسما ، وقلبا ، وروحا ، وخلقا .
لكل أمة رسول :

والله - سبحانه وتعالى - أرسل في كل أمة رسولا ، فأرسل نوحا إلى قومه ، ولوطا إلى قومه ، وصالحا إلى قومه ، وشعيبا إلى أصحاب الأيكة ، والأيكة هي الأشجار الملتفة وأرسل موسى إلى بني إسرائيل ، وهودا إلى عاد ، وهكذا

(١) سورة مريم الآية (١٦ - ١٩) .

(٢) سورة النحل الآية (٦٨ ، ٦٩) .

(٣) سورة آل عمران الآية (٣٦) .

(٤) سورة الانعام الآية (١٢٤) .

المأصلة :

قال الله تعالى : (وإن من أمة إلا خلا فيها نذير) (١)

قال تعالى : (وإلى عاد أخاهم هودا) (٢)

وقال تعالى : (وإلى ثمود أخاهم صالحا) (٣)

وقال تعالى : (وإلى مدين أخاهم شعيبا) (٤)

ورسالة محمد ﷺ للبشرية جميعها والله يوم القيامة :

سبق القول أن كل أمة أرسل إليها رسول ، وأن كل رسول كانت رسالته لوقت " ما " إلى أن يرسل الله سبحانه وتعالى - رسولا آخر لهؤلاء المرسل إليهم ، أما رسالة النبي محمد ﷺ فإنها عامة إلى كل الناس ، فمبادئها ومادعت إليه تصلح للناس جميعا ، إلى يوم القيامة . إذن فلا داعى لأن تتعدد الرسالات في الأرض .

وكذلك كانت ممتدة إلى آخر الزمان ، لأنه لو فرض أن يأتى رسول فإنه لن يأتى بجديد غير ما جاء به محمد .

لذا قال الله - تعالى - : (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) (٥) وقال (قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيى ويميت) (٦) .

وقال - تعالى - : (ما كان محمد أبأ أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) (٧) وقال - ﷺ - : " أنا العاقب فلان نبى بعدى " (٨) وقال : " بعثت أنا والساعة كهاتين ، وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى " (٩) والمعنى : " ليس هناك فاصل بينى وبين الساعة من رسالة ، كما لا يوجد بين هذين الأصبعين فاصل .
محطمة الأنبياء :

الأنبياء هم صفوة الله من خلقه ، اختصهم بتبليغ دينه ودعوته ، وتعليم الناس شريعة الإسلام ، فهم القوة للناس ، ينظر الناس إليهم فيجدون دعوتهم قد

-
- | | |
|---------------------------------|---|
| (١) سورة فاطر الآية (٢٤) . | (٢) سورة الأعراف الآية (٦٥) . |
| (٣) سورة الأعراف الآية (٧٣) . | (٤) سورة الأعراف الآية (٨٥) . |
| (٥) سورة الأنبياء الآية (١٠٧) . | (٦) سورة الأعراف الآية (١٥٨) . |
| (٧) سورة الأحزاب الآية (٤٠) . | (٨) أخرجه مالك فى الموطأ كتاب أسمائه ﷺ حديث رقم : ١ . |
| (٩) متفق عليه وقد سبق . | |

تجسدت فيهم ، لذا عصمهم الله عن اقتراف الذنوب والمعاصي ، فهم من
الزقاء والصفاء بمحل جعلهم أهلا لهذه المهمة الشريفة السامية العالية.

وقد تقع منهم بعض هنات يعاتبهم الله سبحانه وتعالى عليها لاتخل بمكانتهم
السامية ، لأنها ليست في أمور العقائد ولا الأخلاق ، إنما تكون في بعض
العادات وسياسات الأمم وهي أمور تقديرية تختلف الانظار فيها ، وعلى ذلك
نفهم أن ما أسمى ذنبا بالنسبة لهم هو من هذا القبيل ، وعلينا أن نعلم أن
الأنبياء وعلى رأسهم سيدنا محمد - صلوات الله عليهم أجمعين - أعلم الناس
بالله ، وأشداهم له خشية وأقربهم به صلة : سبحانه وتعالى .
واجبنا نحو الرسل :

إن عقيدة الإسلام تدعو إلى الإيمان برسول الله جميعا دون تفرقة بين رسول
ورسول ممن ذكروا لنا ومن لم يذكرنا لنا ، هذا إجمالا .

أما تفصيلا : فيجب الإيمان بخمسة وعشرين رسولا ذكروا في القرآن ،
ومنهم خمسة هم أولو العزم من الرسل ، وهم أبرز من صبروا في الدعوة وأؤثروا
وتحملوا أذى الناس في دعوتهم إلى الله ، وقد ذكرهم في موضعين من القرآن ،
الأول في سورة الأحزاب . قال تعالى : (وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم
ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقا
غليظا)^(١)

والثاني في سورة الشورى ، قال تعالى : (شرع لكم من الدين ما وصى به
نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين
ولا تتفرقوا فيه)^(٢)

وقد ذكر الله عدد ثمانى عشر رسولا في موضع واحد ، قال تعالى : (وتلك
حجتنا أتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم .
ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داوود
وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين . وذكرنا
ريحي وعيسى وإلياس كل من الصالحين وإسماعيل وإلياس ويونس ولوطا وكلا
فضلنا على العالمين . ومن أبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى
صراط مستقيم . ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده ولو أشركوا

(٢) سورة الشورى الآية (١٣)

(١) سورة الأحزاب الآية (٧)

لحبط عنهم ماكانوا يعملون أولئك الذين أتيناهم الحكم والنبوة ، فإن يكفر
بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين . أولئك الذين هدى الله فبهداهم
اقتده قل لأسألكم عليه أجرا إن هو إلا نذكرى للعالمين (١) .
والباقون هم : إدريس ، وهود ، وشعيب ، وصالح ، ونو الكفل ، وأدم ،
ومحمد صلى الله عليهم وسلم أجمعين .
ولذا قال القائل :

حتم على كل ذى التكليف معرفة بأنبياء على التفصيل قد علموا
فى تلك حجتنا منهم ثمانية من بعد عشر ويبقى سبعة وهموا
إدريس هود وشعيب صالح وكذا نو الكفل آدم بالمختار قد ختموا
فيجب الإيمان بهؤلاء تفصيلا وبالأجمع إجمالا ، لأن هناك أنبياء لم يذكرنا
لنا ، قال تعالى : (ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم
عليك) (٢) وقال : (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم
من لم نقصص عليك) (٣) .

أما الدليل على وجوب الإيمان بهم جميعا ، فقوله تعالى - : (إن الذين
يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض
ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا . أولئك هم الكافرون حقا
وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا) (٤) .

وقال : (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته
وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك
المصير) (٥) وواجبنا أن نؤمن أن الأنبياء قد اتصفوا بصفات الكمال البشرى .
وأنه قد وجب لهم الصدق ، والأمانة ، والتبليغ ، والفظانه ،

فلا يجوز الكذب على أنبياء الله - بل هم الصادقون حقا .
وكذلك يستحيل فى حقهم الخيانة ، وإلا فإنهم لايؤمنون على التبليغ عن الله
عز وجل ، ولقد ضرب الأنبياء الأمثلة الرائعة فى ذلك حتى كان رسول الله ﷺ
يلقب " بالصادق الأمين " .

(١) سورة الأنعام الآية (٨٣ - ٨٩) .

(٢) سورة النساء الآية (١٦٤) .

(٣) سورة غافر الآية (٧٨) .

(٤) سورة النساء الآية (١٥٠) .

(٥) سورة البقرة الآية (٢٨٥) .

وكذلك قال من قبله من الأنبياء : (إنى لكم رسول أمين) (١) .
وكذلك فإن مهمتهم التبليغ عن الله ، فلم يكتبوا شيئا أرسلهم به الله ولو
كتبوا شيئا لكتب محمد ﷺ سورة (عبس وتولى) ، ولكتم عتاب الله له فى
سورة النساء والأنفال ، والتوبة ، والأحزاب ،
وكذلك ينبغى أن يكون نكيا ، ويستحيل أن يكون بليدا ، حتى يستطيع
الإقناع وحتى لا يستخفه الناس .
وتأمل ماكان من محمد - ﷺ - فى شأن وضع الحجر الأسود ، ومافعل
حينما اختلفوا فيمن يضعه وتنافسوا فى ذلك حتى كادت تشب بينهم نار الحرب
ودام بينهم هذا الخصام أربع ليال ، وكان أسن رجال من قريش إذ ذاك أبو
أمية بن المغيرة المخزومي - عم خالد بن الوليد - فقال لهم : يا قوم لا تختلفوا
وحكموا بينكم من ترضون حكمه ، فقالوا : نكل الأمر لأول داخل ، فكان هذا
الداخل هو الأمين المأمون عليه الصلاة والسلام ، فاطمأن الجميع إليه
لماعهده فيه من الأمانة وصدق الحديث ، وقالوا : هذا الأمين رضينا ، هذا
محمد ، لأنهم كانوا يتحاكفون إليه إذ كان لايدارى ولايعارى ، فلما أخبروه
الخبر بسط رداءه وقال : لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ، ثم وضع فيه الحجر
وأمرهم برفعه حتى انتهوا به إلى موضعه فأخذه ووضع فيه (١) .
وهكذا عالج محمد قبل أن يبعث هذه المشكلة الضخمة .

(١) نور اليقين للشيخ محمد الخضرى ص ٢٥ ، ٢٦ مكتبة المنار .

الإيمان بالقضاء والقدر

مقدمات :

لفهم القضاء والقدر لابد من العلم بمايلي :

أولا : الإيمان بالقضاء والقدر داخل في الإيمان بالله عز وجل ، لذا لم يذكر في آية البقرة رقم (١٧٧) .

وقد ذكر في الحديث الذي عدد أركان الإيمان ، لأن السنة في مقام التفصيل والشرح والبيان والقرآن في مقام الإيجاز والتأصيل .

ثانيا : لا ينبغي الخوض في هذه المسألة ، وليس هذا حجرا على العقل أن يفكر ، ولكنه حرص على العقل حتى لا يتعدى حدوده في التفكير ، ويتحمل فوق طاقته ، ويعمل خارج دائرته .

وأول خطأ للعقل في هذه الدائرة أنه يطبق على الله مقاييس العدالة البشرية ، وقد يكون لله حكمة خفية لم يطلع عليها البشر ، وفي قصة موسى والخضر في سورة الكهف بيان لذلك ، حينما ركبا السفينة وخرقها الخضر ، وكذا لما قتل الغلام ، ومثلها حينما أقام الجدار للقرية البخيلة بضرب الله مثلا بذلك لنفهم منه الانسراع بإصدار الأحكام قبل إدراك الوقائع جميعا ، وليس في قدرة العقل ذلك كله إلا ما أظهره الله تعالى له .

ثالثا : الإنسان مجبر في أمور ، ومخير في أمور ، فليس مخيرا على الإطلاق ، وليس مجبرا على الإطلاق .

فإن الإنسان يستطيع أن يحرك يده بإرادته ، ذلك أن الله تعالى جعل عضلاتها خاضعة له ، لكنه لا يستطيع التحكم في عضلات قلبه ، ومعدته .

والإنسان لا دخل له في طوله ، ولألونه ، ولإرادة له في إمساك نفسه إذا ألقى من شاهق .

وكذا هو مخير في حدود الطاقة البشرية فقد رزقه الله عقلا يميز به بين الخير والشر ، فهو يستطيع أن يرفع يده ليتصدق على مسكين ، أو يضرب بها بريئا .

أليس هذا باختيار وذلك باختيار ، أليس مستحقا للثواب في الأول ، وللعقاب في الثاني ؟

رابعاً : إن الله تعالى بعدله وحكمته رتب الثواب والعقاب على مايفعله الإنسان مختاراً له .

أما ما يحدث منه جبراً فلا ثواب ولا عقاب عليه فى جميع الأمور .
خامساً : بعض العلماء جعلوا القضاء والقدر لفظين مترادفين فعرّفوهما تعريفاً واحداً مؤداه :

أنه هو : النظام المحكم ، والضوابط الدقيقة التى وضعها الله سبحانه لهذا الوجود ، والسنن التى ربط بها الأسباب بمسبباتها ، وتنتظم على أساسها ظواهر الحياة وبواطنها .

(الذى خلق فسوى ، والذى قدر فهدى) (١)

(وكل شئ عنده بمقدار) (٢)

(والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم . والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم . لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون) (٣) .

والبعض فرق بينهما على هذا النحو :

القدر : علم الله تعالى بما تكون عليه المخلوقات فى المستقبل .

والقضاء : إيجاد الله الأشياء حسب علمه وإرادته .

والبعض فرق بينهما على عكس ما قال البعض الذى سبق بيان قوله ، فجعل تعريف القضاء للقدر ، والقدر للقضاء (٤) .

سادساً : عدالة القدر لاتنافى التفضل والتميز ..

معنى ذلك : أن الرجلين قد يؤديان عملاً متشابهاً ، ويستحقان أجراً واحداً فيعطى الله الرجلين أجرهما ، ثم يمنح أحدهما زيادة خاصة من لده دون الآخر ، وقد يرتكب مخطئان ذنباً واحداً ويستحقان عقوبة مشتركة ، ثم يصدر عفو عن أحدهما ، ويبقى الآخر رهين ذنبه .

فليعرف الناس أن الله لامستكره له ، ولا قيد على مشيئته ، فليأت العباد إلى

(٢) سورة الرعد الآية (٨) .

(١) سورة الأعلى الآية (٢ ، ٣) .

(٣) سورة يسن الآية (٣٨ - ٤٠) .

(٤) راجع هذا فى الإيمان أركانه ونواقضه د/ نعيم (ياسين) ص ١٠٨ ط دار التوزيع والنشر الإسلامية

ساحته وقلوبهم منفصلة بمشاعر الرغبة والرغبة فحسب^(١) .
 سابعا : المخلوقات فى الهداية والإرادة نوعان :
 النوع الأول : مسخر بطبعه ، هداة الله لما سخره له كالشمس ، والقمر .
 النوع الثانى : متحرك بإرادته وهو ثلاثة:
 الأول : لا يريد إلا الخير ولا يتأتى منه إرادة سوء . كالملائكة .
 الثانى : لا يريد إلا الشر ولا يتأتى منه خير ، كالشياطين .
 الثالث : يتأتى منه إرادة القسمين كالإنسان .
 فمنهم من يغلب إيمانه وعقله هواه وشهوته وهذا يلتحق بالملائكة ، ومنهم من هم عكس ذلك ، وهذا يلتحق بالشياطين .
 ومنهم من تغلب شهوته البهيمية عقله فيلتحق بالبهائم^(٢) .
 ثامنا : الله خالق الخير والشر ، لكن لا يضاف الشر إلى الله عز وجل لأمر ، منها :

١ - وجوب التأدب مع الله كما ورد حكاية عن الجن :
 (وأنا لاندري أشر أريد بمن فى الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا)^(٣) .
 وقال الخضر لموسى : (فأردت أن أعيبها)^(٤) فنسب ذلك لنفسه ثم قال فى الغلامين : (فأراد ربك أن يبلغا أشدهما)^(٥) .
 ٢ - ولأن الله سبحانه لا يخلق شرا محضا أبدا ، فمامن شرفى ظاهره إلا فى طياته من الخيرات ما لا يحصى ، حتى خلق إبليس ، وحتى الذنوب والمعاصى .
 وسيأتى لذلك مزيد بيان فى المقدمة الآتية :
 تاسعا : لابد أن نعرف أن هناك فرقا بين الإرادة ، والرضا ، والحب ، فقد يكون الشيء مرادا وهو فى الوقت ذاته مكروه بغيض
 وإنما يخطئ الناس فى عقيدة القضاء لعدم إدراك هذه التفرقة وبيان ذلك :
 المراد نوعان : مراد لنفسه ، ومراد لغيره .

(١) عقيدة المسلم للشيخ محمد الغزالي (بتصرف) ص ١١٩ ط / دار الكتب الإسلامية .
 (٢) بتصرف من الجداول الجامعة فى العلوم النافعة / العقيدة ص ٢٧ ط . الأولى الدعوة - الكويت .
 (٣) سورة الجن الآية (١٠) .
 (٤) سورة الكهف الآية (٧٩)
 (٥) سورة الكهف الآية (٨٢) .

فالمروءة لنفسه : مطلوب محبوب لذاته ومافيه من الخير ، ويقولون عنه :
مراد إرادة الغايات والمقاصد .
والمروءة لغيره : قد لا يكون مقصودا للمريد ولافيه مصلحة له بالنظر إلى ذاته وإن كان وسيلة إلى مقصوده ومراده .
ومن هنا يجتمع فيه الأمران بقضه وإرادته ، ولايتعارضان لاختلاف الحيثية أو كما يقولون : لاختلاف متعلقهما .
وإذا تقرر هذه القاعدة فلنضرب الأمثلة ليتضح مانقول :
أ - الدواء الكريه إذا علم المتناول أن فيه شفاءه .
ب - قطع العضو المتآكل إذا علم أن فى قطعه بقاء جسده .
ج - قطع المسافة الشاقة إذا علم أنها توصل إلى المطلوب .
بل إن الفاعل ليؤثر هذا المكروه إذا علم أو ظن أنه سيوصل إلى محبوب هذا على حد علم أو ظن الانسان وهو قاصر وعلمه محدود وقد يتخلف، فكيف بالله الذى لاتخفى عليه خافية فى الأرض ولافى السماء ؟! فهو سبحانه يكره الشيء ولاينافى ذلك إرادته لأجل غيره ولكونه سببا إلى أمر هو أحب إليه من فوته .
من ذلك أنه خلق إبليس الذى هو مادة لفساد الأديان ، والأعمال ، والاعتقادات والإرادات ، وهو سبب لشقاوة كثير من العباد وعملهم بمايغضب الرب سبحانه وهو الساعى فى وقوع خلاف مايجبه الله ويرضاه .
ومع ذلك فهو وسيلة إلى محاب كثيرة للرب تعالى ترتبت على خلقه ووجودهما أحب إليه من عدمها لأمر :
منها : أن يظهر للعباد قدرة الله تعالى على خلق المتضادات المتقابلات فخلق هذه الذات التى هى أخصب النوات وشرها، فى مقابلة ذات جبريل التى هى أشرف النوات وأطهرها ، فتبارك الله خالق هذا وهذا .
كماظهرت قدرته فى خلق الليل والنهار ، والداء والدواء ، والحسن والقبح ، وذلك دليل كمال قدرته .
ومنها : ظهور آثار أسمائه القهرية مثل : القهار ، والمنتقم ، وشديد العقاب ، وذى البطش الشديد ، فإن هذه الأسماء والأفعال كمال لابد من وجود متعلقها ، ولوكان الجن والإنس على طبيعة الملائكة لم يظهر أثر هذه الأسماء .
ومنها : ظهور آثار أسمائه المتضمنه عفو ، ومغفرته ...

وقد أشار النبي - ﷺ - إلى هذا بقوله : " لو لم تذبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذبون ، ويستغفرون ، فيغفر لهم " .

ومنها : حصول العبودية المتنوعة التي لولا خلق إبليس لما حصلت ، فإن عبودية الجهاد من أحب أنواع العبودية إليه سبحانه ، ولو كان الناس كلهم مؤمنين لتعطلت هذه العبودية وتوابعها ، من الموالاة لله سبحانه وتعالى والمعاداة فيه ، وعبودية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعبودية الصبر والتوبة .

فإن قيل : فهل يمكن وجود تلك الحكم بدون هذه الأسباب .
فهذا سؤال فاسد ، وهو فرض وجود الملزوم بدون لازمه ، كفرض وجود الحركة بدون المتحرك ، والتوبة بدون التائب .

فإن قيل : كيف يرضى لعبده شيئا ولا يعينه عليه .
قيل : لأن إعانته عليه قد تستلزم قوات محبوب له أعظم من حصول تلك الطاعة التي رضيها له ، وقد يكون وقوع تلك الطاعة منه يتضمن مفسدة هي أكره إليه سبحانه من محبته لتلك الطاعة ، وقد أشار الله تعالى إلى ذلك في قوله :

(ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ، ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين) (١) .

فأخبر سبحانه أنه كره انبعاثهم إلى الفزو مع رسوله ، وهو طاعة ، فلما كرهه منهم ثبطهم عنه .

ثم ذكر سبحانه بعض المفاصد التي تترتب على خروجهم مع رسوله فقال :
(لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا - أي فسادا وشرا - ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين) (٢) .

أي : سعوا بينكم بالفساد وفيكم من يستجيب لهم ، فيقولون : من سعى هؤلاء . وفي استجابة هؤلاء من الشر ما هو أعظم من مصلحة خروجهم ، فاقترضت الحكمة والرحمة أن أقعدهم عنه (٣) .

(١) سورة التوبة الآية (٤٦) . (٢) سورة التوبة الآية (٤٧) .

(٣) انظر : أصول العقيدة الإسلامية للأستاذ / عبد المنعم صالح العلي العزى ص ٨٠ - ٨٢ .

الإيمان بالقضاء والقدر ومراتبه ،

يجب الإيمان بعلم الله القديم ومشيتته النافذة ، وأنه ماشاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وأن الخلق جميعاً لو احتجوا على ضرر إنسان أراد الله له النفع ما استطاعوا ، ولو اجتمعوا على نفع إنسان لم يرد الله له ذلك ، لم يستطيعوا . ويجب الإيمان أن ما أخطأ الإنسان لم يكن ليصيبه ، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وأن هذا الكون يسير وفق ما علم الله وقدر ، فهو كون مبرمج - بحسب اصطلاح الناس الحديث - لم يترك سدى .
وأن الله قدر الخير والشر ...

فيجب على الإنسان أن يؤمن بالقضاء والقدر على هذا النحو بمراتبه :
١ - الإيمان بعلم الله سبحانه بالأشياء ، وأنه علم أعمال العباد قبل أن يعملوها .

قال تعالى: (وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء) (١) .
٢ - أنه سبحانه كتب ذلك في اللوح المحفوظ .
قال الله - تعالى - (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير) (٢)
٣ - أنه مشيئته سبحانه نافذة ، وقدرته شاملة لكل شيء فما من حركة ولا سكون في الأرض ولا في السماء إلا بمشيئته سبحانه ،
قال تعالى : (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين) (٣) .
٤ - إن الله هو الخالق لكل شيء وما سواه مخلوق .
قال تعالى : (وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم ، ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل) (٤) .
ويترجمون للأول : " بالعلم " ، وللثاني : " بالكتابة " وللثالث : " بالمشيئة " وللرابع : " بالخلق والإيجاد " .

(١) سورة يونس الآية (٦١) .

(٢) سورة الحديد الآية (٢٥) .

(٣) سورة الإنسان الآية (٣٠) .

(٤) سورة الأنعام الآية (١٠١ ، ١٠٢)

قال الإمام ابن تيمية فى هذا المعنى :

" وتؤمن الفرقة الناجية - أهل السنة والجماعة - بالقدر : خيرهُ وشرهُ .

والإيمان بالقدر على درجتين كل درجة تتضمن شيئين :

فالدرجة الأولى : الإيمان بأن الله تعالى علم ما الخلق عاملون ، بعلمه القديم الذى هو موصوف به أزلا ، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصى والأرزاق والأجال .

ثم كتب فى اللوح المحفوظ مقادير الخلق ، فأول ما خلق الله القلم قال له : اكتب قال : ما أكتب ؟ قال : اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة ، فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه ، وما أخطاه لم يكن ليصيبه ، جفت الأقلام وطويت الصحف .

كما قال سبحانه : (ألم تر أن الله يعلم ما فى السماء والأرض ، إن ذلك فى كتاب إن ذلك على الله يسير) (١) .

وقال : (ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها ، إن ذلك على الله يسير) (٢) .

وهذا التقدير التابع لعلمه سبحانه - يكون فى مواضع جملة وتفصيلا ، فقد كتب فى اللوح المحفوظ ما شاء ، وإذا خلق جسد الجنين قبل نفخ الروح فيه بعث إليه ملكا ، فيؤمر بأربع كلمات فيقال له : اكتب رزقه وأجله وعمله ، وشقى أو سعيد، ونحو ذلك .

فهذا القدر قد كان ينكره غلاة القدرية قديما ، ومنكره اليوم قليل .

وأما الدرجة الثانية : فهو مشيئة الله النافذة ، وقدرته الشاملة ، وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وأنه ما فى السموات والأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله سبحانه ، لا يكون فى ملكه إلا ما يريد وأنه سبحانه وتعالى على كل شىء قدير من الموجودات والمعنومات .

فما من مخلوق فى الأرض ولا فى السماء إلا الله خالقه سبحانه ، لا خالق غيره ولا رب سواه . ومع ذلك فقد أمر العباد بطاعته ، وطاعة رسله ، ونهاهم عن معصيته . وهو سبحانه يحب المتقين والمحسنين والمقسطين ، ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، ولا يحب الكافرين ، ولا يرضى عن القوم الفاسقين ، ولا يأمر

(١) سورة الحج الآية (٧٠) .

(٢) سورة الحديد الآية (٢٢) .

بالفحشاء ، ولا يرضى لعباده الكفر ، ولا يحب الفساد .
والعباد فاعلون حقيقة ، والله خالق أفعالهم ، والعبد هو المؤمن والكافر ، والبر
والفاجر ، والمصلى والصائم ، والمعبد قدرة على أعمالهم ، ولهم إرادة ، والله
خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم ، كما قال تعالى : (لمن شاء منكم أن يستقيم
وماتشاورون إلا أن يشاء الله رب العالمين) .
وهذه الدرجة من القدر يكذب بها عامة القدرية الذين سماهم النبي ﷺ :
مجوس هذه الأمة (١) .

شبهات وروايات :

١ - قد يقول قائل : إذا كان الله عز وجل (يضل من يشاء ويهدي من
يشاء) بنص القرآن ، فلماذا يعاقب الضال وهو الذي أضله ، وهل كان
بإمكانه أن يكون مهتديا ؟ .
وأقول : إن أخذ آية وفهمها بمعزل عن أخواتها من الآيات التي قيدتها إن
كانت مطلقة ، أو بينت جانبا آخر من المعنى لم تبينه الآية الأولى لخطأ بين
واقعات على الله سبحانه وتعالى :

وإن القرآن نزل يصدق بعضه بعضا ، ولم ينزل ليكذب بعضه بعضا .
وفى ضوء آيات القرآن الكريم أقول :

إن معنى إضلال الله الإنسان ليس معناه أنه أجبره أو حمله على الضلال ولو
تركه وشأنه لكان مهتديا ، أو كان قابلا للاهتداء ، كلا كلا ، فما وجدنا أحدا أراد
المسجد فإذا به دون إرادة منه يحيد عن طريقه إلى طريق حانه .
ما وجدنا أحدا أراد أن يأمر بمعروف وينهى عن منكر ، فإذا به يهذى دون إرادته هو .
وما لمثل ما وجدنا إنسانا أراد أن يسرق فإذا به دون إرادته هو يدخل المسجد
قسرا وجبرا .

(١) خرج أبو داود عن ابن عمر عن النبي ﷺ (في ج٤ / ٣٥٧ : القدرية مجوس هذه الأمة ورواه
الحاكم ، وخرج أحمد وغيره : لكل أمة مجوس ، ومجوس أمتي الذين يقولون لا قدر إلخ . راجع ج٤ / ٤
مسند محقق ، وهو وإن كان إسناده ضعيف إلا أن له شواهد ينتهي مجموعها إلى درجة الحسن . وقد
ذكره السيوطي في الجامع وعزاه لأحمد ورمز له بالحسن . وكلام ابن تيمية السابق من كتاب العقيدة
الواسطية / مجموع الفتاوى ٣ / ١٤٨ - ١٥٠ ط مطابع الرياض ، والآية الآتية الذكر من سورة الإنسان
رقم (٣٠) .

وهذا الذي يحتج به الناس على الله من قضائه وقدره لا يرضونه من عبود أمثالهم ، فلو أمر رجل ولده أن يفعل شيئاً فاهمل وقصر ، وأراد أن يعاقبه ، فاحتج عليه بأن ذلك قدر ، هل ترون ذلك الأب يقبل من ابنه هذا الاعتذار ؟ فارجع إلى ما بدأناه من الجواب : إن إضلال الله لشخص معناه أن هذا الشخص اختار طريق الغواية ، وأثره على طريق الهداية ، فأقره الله سبحانه على ما اختاره لنفسه وما أثره ومدله فيه .

وإن هداية الله لإنسان معناها أن هذا الإنسان اختار طريق الهداية وأثره على طريق الغواية أقره الله على اختياره ، وإيثاره ومدله فيه ، أنرى أن الله سبحانه عامل هذا بمعاملة ، وذلك بمعاملة أخرى ؟ أنرى أن الله قسمي هذا بميزان غير الميزان الذي قضى به لذلك لا والله ، وماربك بظالم للعبيد ، وما الله يريد ظلماً للعالمين .

والآن لنستعرض الآيات التي تناولت هذا الأمر فنقرأها ونفهمها ببصيرة . من يقرأ قوله تعالى عن القرآن : (يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً) (١) ربما يفهم منه أن الهدى والضلال أمر قد قدره الله عليهم ، وألزمهم به وجعل هؤلاء ضالين وهؤلاء مهتدين . ولكنه إذا قرأ قوله تعالى : " ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين " (٢) وقوله تعالى : (وما يضل به إلا الفاسقين) (٣) .

علم أن الهدى والضلال ليس إلزاماً من الله ، ولكنه تابع لحالة الإنسان فإنه إن كان متقياً كان القرآن هدى له ، وإن كان فاسقاً كان له ضلالاً .

قد يقول : وما يدريني إذا كان الله قد جعلني من المتقين أو جعلني من الفاسقين ؟ فإذا انتبه إلى قوله تعالى : (للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ، ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) (٤) .

وقوله : (إلا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض) (٥) .

علم أن المسألة ليس فيها إجبار ، وأن مردها إلى صفات وأعمال داخلية في نطاق حرية الإنسان وطاقته .

فأنت تستطيع أن تؤمن بالغيب ، وأن تقيم الصلاة ، وتنفق في سبيل الله . وتستطيع أن تنقض العهد ، وتقطع الموصول ، وتفسد في الأرض ، أمرد في

(٢) سورة البقرة الآية (٢) .

(٤) سورة البقرة الآية (٢، ٣) .

(١) سورة البقرة الآية (٢٦) .

(٣) سورة البقرة الآية (٢٦) .

(٥) سورة البقرة الآية (٢٦، ٢٧) .

مناقشتك ؛ وفى إمكانك تركها ، إن عملت الثلاث الأولى كنت بذلك من المتقين ، فاستحققت الهداية ، وإن عملت الثلاث الأخرى كنت بذلك من الفاسقين فاستحققت الضلال^(١)

ابداً أنت والله يقرّك ويساعدك ، أو يعد لك فيما اخترت . (والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم)^(٢) (قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مداً)^(٣) ذلك محض عدله سبحانه وتعالى .

وعلى السؤال الثانى : هل كان بإمكانه أن يكون مهتديا ؟

أقول : هل قام ذلك المجادل فجرب حتى يعلم هل كان بإمكانه أولا ؟ إن قضاء الله عز وجل وقدره بمعنى علمه ، وعلم الله محيط بما كان وما يكون إلى يوم القيامة ، فهل علم أن الله أجبر الإنسان على فعل الخير ، أو الشر ، وهل أعطى الله سبحانه علمه لأحد فأعلمه أنه سيكون برا أو فاجرا ؟!

تأمل معنى هذا القول لعبد الله بن عمر - رضى الله عنه - قال :

" مثل علم الله فيكم - أى قضائه وقدره - كمثل السماء التى أظلمتكم والأرض التى أظلمتكم ، فكما لا تستطيعون الخروج من السموات والأرض ، كذلك لا تستطيعون الخروج عن علم الله ، وكما لا تحملنكم السموات والأرض على فعل المعاصى ، كذلك لا يحملنكم علم الله على فعل المعاصى " .

ولنضرب لذلك مثلا يقرب المعنى ، والله المثل الأعلى فى السموات والأرض ؛ لو أرسل رجل ابنه لشراء شىء ما ، ثم حينما أرسله قال لعلمه بابنه وأخلاقه وسلوكه - هذا الولد سيلعب بالنقود ، ويتأخر ، ثم حدث ما قال تماما ، فهل علم الوالد أجبر الولد على شىء من ذلك ؟!

وهل علم الوالد يعفى الولد من العقوبة ؟!

فعلم الله سبحانه أوثق وأتم وأكثر إحاطة من علمنا ببعضنا ، وكيف يحتج الإنسان بذلك على الله ، ولا يحتج بذلك فى أمور الدنيا ، فلماذا يدفع الجوع بالطعام ، والبرد بالغطاء ، والمرض بالنواء إلخ ، ولا يقول الجوع والبرد ، والمرض أقدار الله .

(١) تعريف عام بدين الإسلام للشيخ على الطنطاوى (مختصرا) ص ١٣٧ - ١٣٩ .

(٢) سورة مريم الآية (٧٥) .

(٣) سورة محمد الآية (١٧)

وقد جاء في الحديث عن جابر - رضى الله عنه - عن النبي - ﷺ - قال
« يكون في آخر الزمان قوم يعملون المعاصي ، ثم يقولون الله قدرها علينا .
المنكر عليهم يومئذ كالشاهر سيفه في سبيل الله » .

٢ - وقد يقول قائل :

إذا كان الكفر بقضاء الله وقدره ، ونحن مأمورون أن نرضى بقضاء الله ،
فكيف ننكره ونكرهه ؟!

هذا السؤال ورد هكذا في شرح العقيدة الطحاوية ، والجواب من مختصر
هذا الشرح : قال :

فالجواب : أن يقال أولا : نحن غير مأمورين بالرضا بكل مايقضيه الله
ويقدره ، ولم يرد بذلك كتاب ولا سنة .

بل من المقضى مايرضى به ، ومنه مايسخط ويمقت ، كما لايرضى به
القاضى لأقضيته سبحانه ، بل من القضاء مايسخط كما أن من الأعيان
المقضية ماينغضب عليه ويمقت ويلعن ويذم .

ويقال ثانيا : هنا أمران : قضاء الله ، وهو فعل قائم بذات الله تعالى ،
ومقضى ، وهو : المفعول المنفصل عنه .

فالقضاء كله عدل وخير ، وحكمه : نرضى به كله .

والمقضى قسمان : منه مايرضى به ، ومنه ما لايرضى به .

ويقال ثالثا : القضاء له وجهان :

أحدهما : تعلقه بالرب سبحانه وتعالى ، فمن هذا الوجه ونسبته إليه
يرضى به .

والوجه الثانى : تعلقه بالعبد ، ونسبته إليه ، فمن هذا الوجه ينقسم إلى
مايرضى به ، وإلى ما لايرضى به .

مثال ذلك : قتل النفس له اعتبارات ، فمن حيث قدره الله وقضاه وكتبه ،
وشاءه ، وجعله أجلا للمقتول يرضى به .

ومن حيث صدر من القاتل وياشره ، وأقدم عليه باختياره وعصى الله بفعله
نسخطه ولا نرضى به^(١) .

(١) أصول العقيدة الإسلامية ص ٨٢ ، ٨٣ .

نهار الإيمان بالقضاء والقدر ،

لكل ركن من أركان الإيمان ثماره المياعة وأثاره الطيبة الملموسة فى الدنيا
والمرجو ثوابها وأجرها فى الآخرة :

١ - الشجاعة النادرة ، وعدم التردد .

إذ من علم أن القلم قد جف بما هو كائن الى يوم القيامة ، ومن اعتقد أن
ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه كان أبعد من الجبن ، وأول
الناس إقداما ، وأمضى الناس عزيمة ، وأقوى الناس شكيمة لذا كان على بن
أبى طالب - رضى الله عنه - يقول :

أى يومى من الموت أفر . . . يوم لا يقدر أو يوم قدر
يوم لا يقدر لأرهبه . . . ومن المقدر لا ينجو الحذر

٢ - صلاح البال ، وهنوء القلب لما يقع ، والرضا بما وقع .

فكله بتقدير العزيز العليم ، وعدم الغرور بما حصل الإنسان .

قال تعالى: (ما أصاب من مصيبة إلا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه) (١) .

وقال : (ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل

أن نبرأها إن ذلك على الله يسير . لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) (٢) .

فكل شىء فى الكون يسير وفق حكمة عليا ، فإذا برىء الإنسان من الجزع

عند الإخفاق ، ومن الفرح والبطر عند النجاح ، كان إنسانا سويا متزنا ، بالغا

منتهى السمو والرفعة .

٣ - الانطلاق إلى البحث عن سنن الله فى الكون ، وإدراك القوانين المنظمة

لهذا الكون ، فيدفع ذلك إلى استخراج كنوز الأرض والانتفاع بما خلق الله

سبحانه وتعالى فيه .

(٢) سورة الحديد الآية (٢٢ ، ٢٣) .

(١) سورة التباين الآية (١١) .

(وسخر لكم مافى السموات ومافى الأرض جميعا منه إن فى ذلك لآيات
لقوم يتفكرون) (١) .

وبذلك يكون الإيمان بالقضاء والقدر قوة باعثة على النشاط والعمل
والإيجابية فى الحياة .

٤ - ربط الإنسان دائما بالله سبحانه وتعالى ، فهو سبحانه يخلق ما يشاء
ويختار فهو المتصرف المطلق وما كان لأحد الاختيار معه .

فتتعلق القلوب بالله بعد الأخذ بالأسباب إذ الأسباب لاتعمل بنفسها .

قال تعالى : (مايفتح الله للناس من رحمة فلاممسك لها ومايمسك
فلامرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم) (٢) .

(١) سورة الجاثية الآية (١٣) .

(٢) سورة فاطر الآية (٢) .

أحكام متعلقة بالقضاء والقدر

[١] أنواع القضاء :

قال الإمام النووي : وأعلم أن التقادير أربعة :

الأول : التقدير في العلم ، ولهذا قيل : العناية قبل الولاية ، والسعادة قبل الولادة ، والواحق مبنية على السوابق . قال الله تعالى : (يؤفك عنه من أفك)^(١) أى يصرف عن سماع القرآن ، وعن الإيمان به في الدنيا من صرف عنه في القدم ، قال رسول الله ﷺ "لا يهلك الله إلا هالكا"^(٢) أى من كتب في علم الله أنه هالك .

الثاني : التقدير في الروح المحفوت ، وهذا التقدير يمكن أن يتغير ، قال الله تعالى : (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب)^(٣) ، وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه كان يقول في دعائه : اللهم إن كنت كتبتني شقيا فامحني واكتبني سعيدا^(٤) .

الثالث : التقدير في الرحم ، وذلك أن الملك يكتب رزقه ، وأجله ، وشقى أو سعيد .

الرابع : التقدير هو سوق المقادير إلى الواقيت ، والله تعالى خلق الخير والشر وقدر مجيئه إلى العبد في أوقات معلومات^(٥) .

[٢] مدافعة الأقدار بالأقذار :

إذا كان الله سبحانه وتعالى قدر المقادير ، فإنه سبحانه قدر ما يدافعها ، فقدر البرد ، وقدر ما يدفعه وهو الملابس والغطاء . وقدر الجوع وقدر ما يدفعه وهو الطعام . وقدر العطش ، وقدر ما يدفعه وهو : الماء . ومن أقداره أن الله تعالى جعل الدعاء يدفع البلاء ، فالبلاء من قدر الله والدعاء كذلك . وجاء الحديث عن الرسول ﷺ : " والله إن القضاء والدعاء ليعتلجان بين السماء والأرض " .

(١) الذاريات : ٩ .

(٢) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الإيمان برقم : ٢٠٨ ، أحمد في ج١ / ٢٧٩ .

(٣) الرعد : ٣٩ .

(٤) أورد عن تفسير الإمام ابن كثير في تفسير الآية : ٣٩ من سورة الرعد مثل هذا القول عن غير

واحد من السلف ج٢ / ٥١٩ .

(٥) شرح الأربعين النووية للإمام النووي ص ١٤ ، ١٥ ط الشمرلي .

لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ

إن عقيدة الإسلام ما قامت يوماً على جبر الناس وقسره عليها ، بل ولا يمكن لعقيدة أن تقوم على قهر الناس على الاعتراف بها .
ذلك أن عقيدة الإسلام تمتلك من الحجة ، والقوة مالاتحتاج معه إلى إكراه .
وكما أنها لاتصادر حرية الناس ، ولاتكرههم على اعتناقها ، فإنها ينبغي ألا تمنع قسراً من الوصول إلى الناس ، ولاتصادر وتقام الحدود والسدود دون تبليغها ، ولا كان الجهاد لإزاحة من يقف عقبة كنوداً في سبيل وصولها ، لالمن لم يؤمن بها .

(وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) (١) .

إنه بعد إقامة الحجة ، والبيان ، واستبانة النور من الظلام ، والحق من الباطل يكون الخيار . وهذا هو منهج القرآن في عرض العقيدة ، تأمل هذا العرض المعجز ، مفعلاً لشبهات المشركين ومبيناً الدين الخالص :

(والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون . إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار . لو أراد الله أن يتخذ ولداً لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار . خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار . خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأتى تصرفون » .

ثم تأمل التعقيب الرياني بعد هذا العرض حيث يقول : (إن تكفروا فإن الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر ، وإن تشكروا يرضه لكم ولا تنزد وأزده وزد أخرى) (٢) .

وهذا منهج قرآني في عرض العقيدة ، أن تهيئ الظروف الملائمة لعرض العقيدة ، ثم بعد ذلك يكون الإيمان بها عن طوعية واختيار .

(١) سورة الكهف الآية (٢٩) .

(٢) سورة الزمر الآيات (٣ - ٧) .

قال سبحانه : (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ، ذلك بأنهم قوم لا يعلمون)^(١) فلم يأمر بإكراهه على العقيدة بعد أن سمع كلام الله .

إن الله سبحانه لا يريد أن يجبر الناس إلى الحق من أعناقهم ، إنما يريد أن يأتوا إليه من قلوبهم ، فماذا يفعل بالأعناق ؟

(إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين)^(٢) لكنه لا يريد أعناقاً إنما يريد القلوب .

إنه قانون قرآني ، وشعار رباني أعلنه بعد أعظم آية في القرآن ، وقد بينت وشرحت صفات الخالق سبحانه « آية الكرسي » .

قال : (لإكراه في الدين . قد تبين الرشد من الغي)^(٣) .

وقال تعالى : (وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً ، قل آمنوا به أو لا تؤمنوا ...)^(٤) .

وإنه للظلم الفاحش ، والتعصب المقيت ، والميل والعوج أن يترك كل ناعق يعرض ماعنده ، ثم تقام الحواجز ، وتوضع العقبات أمام عرض عقيدة الإسلام . ومع هذا كله يقولون إن الإسلام انتشر بحد السيف .

أقول : من أكره المسلمين الأوائل على الإسلام في مكة ؛ من أكره أبا بكر على الإسلام ؟ من شهر السيف في وجه سعد بن أبي وقاص ، وبلال ، وياسر ، وعمار ، وسمية وعمر بن الخطاب ، وحمزة ؟ حيث كان الأكثر يسلم مستخفياً بدينه ، فياترى هل كان مستخفياً بدينه خوفاً من سيف الإسلام ؟ أو من سيف الكفر والشرك ؟ ألافليتذكر أولوا الألباب .

(١) سورة التوبة الآية (٦) .

(٢) سورة الشعراء الآية (٤) .

(٣) سورة البقرة الآية (٢٥٦) .

(٤) سورة الإسراء الآية (١٠٦ ، ١٠٧) .

هبة الحقيقة وحط الرطة

إن للعقيدة الإسلامية هيبتها التي تحفظها من عبث العابثين ، فكما كفلت للناس حرية الاعتقاد وأنه لا إكراه في الدين ، وضحت أنه متى استبان الأمر ووضح ، ودخل الإنسان في هذه العقيدة ، فإنه يلتزم حدودها ونظامها ومن نظامها أن من آمن وصدق وأسلم ، ثم رجع عن الإسلام إلى الكفر فإنه يقيم عليه حد الردة وهو القتل ، حتى لا يكون الدين ألعوبة في يد عابث يدخل إذا أراد ، ويخرج إذا أراد ، إن رأى مغنما دخل ، وإن رأى مغرماً خرج ، ويكون الدين كالسلعة تروج حيناً ، وتبوء أخرى ، ويجد المفسدون مجالاً رحباً ، وباباً واسعاً لنشر الفوضى ، والشك ، إيهاماً أنهم دخلوا في الدين ثم تبين لهم خلاف ما كانوا يظنون فتكون فتنة للسذج .

أُوفِيتُ الباب لفاسد العقل يقبل من الدين مآراقه ، وينكر ما لا يعجبه ، فينكر المعلوم من الدين بالضرورة ، أو يرتكب مكفراً بحجة حرية العقيدة ..
لذا جاءت الأخبار الصحيحة الصريحة في هذا الشأن :

فقد جاء في الحديث : « من بدل دينه فاقتلوه »^(١)

وفي الحديث : « لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزاني والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة »^(٢)

إنه لا ينبغي أن يعيب أحد على عقيدة تحافظ على وجودها ، وتثبت أركانها وتحفظ بيانها من المخربين ، إنما ينبغي أن يلام المفسد ، العابث ، فيقوض بنيانه هو ، ولقد شرع الإسلام أن يستتاب ثلاثاً ولا يقتل .

ومن محاسن الإسلام في هذا أن من المسائل التي لا يقتل فيها المرتد ما لو دخل الإسلام مكرها ، لأن الحكم بإسلامه من حيث الظاهر ، لأن قيام السيف على رأسه ظاهر في عدم الاعتقاد بقلبه ، فيصير شبهة في إسقاط القتل ، لعدم التكليف ، فقد رفع عنه المؤاخظة^(٣) .

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد ، باب لا يعذب بعذاب الله ، وهو بعض حديث فيه برقم (٣٠١٧)

ج٢/ ١٧٣ فتح الباري ، وفي كتاب استتابة المرتدين ، باب حكم المرتد برقم (٦٩٢٢) ج١٢ / ٢٧٩ .

(٢) رواه أبو داود في كتاب الحدود برقم (٤٣٥١) ج١٤ / ١٢٦ ، والترمذي في كتاب الحدود برقم

(١٤٥٨) ٤ / ٥٩ ، وابن ماجه في كتاب الحدود برقم (٢٥٣٥) ٢ / ٨٤٨ ، والنسائي في كتاب تحريم الدم ٧ / ٩٦ ، ٩٧ .

(٣) انظر : الفقه على المذاهب الأربعة ٥ / ٣٤٢ ط . دار الإرشاد للطباعة والنشر .

الموالة والمهاطة

إن من أهم ثمرات الإيمان بالله سبحانه قضية الحب والبغض ، أو كما نكرنا المودة والمفاصلة ، والبعض يقول : الولاء والبراء ، أو الموالة والمعاداة . والجميع متقارب .

إذ أن هذه القضية هى من أهم الصور العملية التطبيقية للإيمان والتوحيد وجاءت الآيات ، والأحاديث ، والجوانب العملية حاسمة فى هذا الأمر ، فليست هى قضية التراخى والمساومة .

أن يوالى المؤمن الله عز وجل ومنهجه ومن أمر بموالاته أو انبثق عن هذا الولاء وهو موالة الرسول الذى أرسله بهذا المنهج ، والمؤمنين الذين يتبعون معه هذا المنهج ، ولولا لأحد غير هؤلاء .

قال تعالى : (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ، ومن يتول الله ، ورسوله ، والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون) (١) .

والمؤمن فى دعائه يقول : (واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين) (٢)

فهذه الولاية لاخوف معها (الإن أولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون) (٣) ولاهزيمة معها (بل الله مولاكم وهو خير الناصرين) (٤) وهى طبيعة المؤمنين مع بعضهم (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) (٥)

وعن أنس قال ، قال رسول الله - ﷺ - : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار » (٦) .

(١) سورة المائدة الآية (٥٥ ، ٥٦)

(٢) سورة البقرة الآية (٢٨٦)

(٣) سورة يونس الآية (٦٢) .

(٤) سورة آل عمران الآية (١٥٠)

(٥) سورة التوبة الآية (٧١) .

(٦) متفق عليه ، أخرجه البخارى فى كتاب الإيمان برقم (١٦) ج١/٦٠ وأخرجه مسلم فى كتاب

الإيمان برقم (٤٣) ج١/٦٦ .

ومع هذا فلا بد من مفاصلة الكفر ، والكافرين ، والظلم والظالمين ، فلاتكون مع الإيمان مودة لغير المؤمنين ، ولا حب ، ولا صورة من صور الولاية ولا تعرض الإنسان للعقاب الإلهي وجعل على نفسه سلطانا مبينا ، ودليلا واضحا على ضعف إيمانه أو زواله ، (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا)^(١)

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون ، قل إن كان آباؤكم وأبناءكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فترى صوابكم حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين)^(٢) .

وانظر إلى هذا الترهيب القرآني من موالات المؤمنين غير المسلمين حيث يقول : (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين)^(٣) .

ولربما يقول قائل - من واقع الهزيمة النفسية ، وضعف الإيمان ، وعدم الثقة بربه - لى مصالح ينبغي أن تجلب ، وهناك مفاصل ينبغي أن تدرك .. فيجيب القرآن : (فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فىهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة ، فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم نادمين)^(٤) .

ولعل منكرا " ينكر هذا علينا ، فنقول : هذا أمر اشترك فيه كل من جمعتهم عقيدة أو مبادئ ، يوالون من وافقهم ، ويعادون من خالفهم ، حتى ولو كانوا على الباطل . إن الكفار أولياء بعض ، وإن الظالمين كذلك ، والمنافقين مثلهم .

قال تعالى : (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير)^(٥)

وقال : (وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض)^(٦)

(٢) سورة التوبة الآية (٢٣ ، ٢٤)

(١) سورة النساء الآية (١٤٤) .

(٤) سورة المائدة الآية (٥٢)

(٣) سورة المائدة الآية (٥١)

(٦) سورة الجاثية الآية (١٩)

(٥) سورة الأنفال الآية (٧٣)

وقال (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض) (١)
 بل وبالفرا مبالغة تخطت المعادة القلبية إلى المفاصلة حتى فى محل الإقامة
 وتأمل معنى مواقف الكفار مع الرسل وأتباعهم .
 (قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من
 قريتنا أو لتعودن فى ملتنا ، قال : أولو كنا كارهين ...) (٢)
 وقال تعالى :

(وقال الذين كفروا لرسولهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن فى ملتنا) (٣)
 ولقد كان للمؤمنين قدوة حسنة وأسوة طيبة فى أبيهم إبراهيم حينما أعلنه
 مبدأ عاما فى المعادة والمفاصلة ، حيث قال الله سبحانه : (قد كانت لكم أسوة
 حسنة فى إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاء منكم ومما تعبدون من
 دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله
 وحده إنا نقول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شئ) (٤) .

ومما يظهر بجلاء علاقة هذا المبدأ بالإيمان قوله تعالى : (لاتجد قوما يؤمنون
 بالله واليوم الآخر يوانون من حاد الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو
 إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم
 جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك
 حزب الله إلا أن حزب الله هم المفلحون) (٥) .

وينبغى التفرقة بين المودة والمودة ، وبين البر والقسط ، فالمودة والمودة منهى
 عنهما ، والبر والقسط مأمور بهما كما فى قوله تعالى : (لا ينهاكم الله عن الذين
 لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن
 الله يحب المقسطين) (٦)

ولذلك يجتمع الأمران معاً فلا يحمل الكره والبغض على الظلم ، إنما لا بد من
 العدل والقسط حتى لو وجد البغض والعداء .

ولذا قال سبحانه : (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط
 ولا يجر منكم شنئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى) (٧)

(٢) سورة الأعراف الآية (٨٨) .

(٤) سورة المتحنة الآية (٤)

(٦) سورة المتحنة الآية (٨) .

(١) سورة التوبة الآية (٦٧)

(٣) سورة إبراهيم الآية (١٣)

(٥) سورة المجادلة الآية (٢٢)

(٧) سورة المائدة الآية (٨) .

وقال ﷺ : (أوصانى ربي بتسع أوصيكم بها ، أوصانى بالإخلاص فى السر والعلانية ، والعدل فى الرضا والغضب ، والقصد فى الغنى والفقر إلخ الحديث)

فالمؤمن يحمل قلبا يجمع بين الموالاة ، والمعاداة ؛ والحب . والبغض ؛ والرحمة ، والشدة والعزة ، والذلة ، لكن كل صفة تتوجه إلى محلها اللائق بها شرعا ، ولقد وصفهم الله بذلك فقال : (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم)^(١) ولأعرض لك الآن صور الموالاة ومظاهرها ملخصة من الولاء والبراء للقطائى^(٢) :

١ - الرضى بكفر الكافرين ، وعدم تكفيرهم ، أو الشك فى كفرهم ، أو تصحيح أى مذهب من مذاهبهم الكافرة .

٢ - التولى العام واتخاذهم أعوانا وأنصاراً وأولياء ، أو الدخول فى دينهم . قال ابن جرير : « من اتخذ الكفار أعوانا ، وأنصارا ، وظهورا ، يواليهم على دينهم ، ويظهرهم على المسلمين ، فليس من الله فى شيء ، أى قد برىء من الله وبرىء الله منه ، بارتداده عن دينه ، ودخوله فى الكفر ، (إلا أن تتقوا منهم تقاه) أى : إلا أن تكونوا فى سلطانهم فتدأثرهم على أنفسكم ، فتظهروا لهم الولاية بالسنتكم وتضمروا العداوة ، ولايشايعوهم على ما هم عليه من الكفر ، ولايعينوهم على مسلم بفعل »^(٣)

٣ - الإيمان ببعض ما هم عليه من الكفر ، أو التحاكم إليهم دون كتاب الله .

٤ - مودتهم ومحبتهم ، وقد أوردت قول الله - تعالى - (لا تجذ قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ..) إلخ الآية^(٤)

(١) سورة الفتح آية : ٢٩ .

(٢) الولاء والبراء ص ٢٣٤ - ٢٤٩ ط . النور الإسلامية .

(٣) السابق نقلا من تفسير الطبرى ٣ / ٢٢٨ . (٤) سورة المجادلة الآية (٢٢) .

٥ - الركون إليهم قال تعالى : (ولاتركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ، وما لكم من دون الله من أولياء ثم لاتتصرون) (١)

قال القرطبي : والركون حقيقته : الاستناد والاعتماد ، والسكون إلى الشيء والرضا به .

وقال قتادة : لاتوبهم ولاتطيعوهم .

وقال ابن جريج : لاتميلوا إليهم .

٦ - مدهنتهم ، ومداراتهم ، ومجاملتهم على حساب الدين ، وهو أمر وقع فيه كثير من المسلمين نتيجة الانهزام النفسى أمام قوة الكفار المادية ، وفراراً من تهمة (التعصب) .

والمداينة ، والمجاملة تبدأ بأمر صغير ثم تكبر وتنمو حتى تؤدي إلى الخروج من الملة والعياذ بالله ، ولنتذكر أن المسلمين الأوائل انتصروا بعزتهم الإيمانية .

٧ - اتخاذهم بطانة من دون المؤمنين قال - تعالى - : (ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانة من دونكم لايآلئونكم خبائلاً ودوا ماعنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وماتخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون) (٢) .

قال النيسابورى : نزلت هذه الآية فى أناس من المؤمنين كانوا يصافحون المنافقين ويواصلون رجلاً من اليهود لما كان بينهم من القرابة والصداقة والجوار فأنزل الله هذه الآية تنهاهم عن مباطنتهم خوف الفتنة عليهم (٣)

٨ - طاعتهم فيما يأمرون ويشيرون به فيما يضر ديننا ، قال تعالى :

(ولاتطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً) (٤)

(١) سورة هود الآية (١٣) .

(٢) سورة آل عمران الآية (١١٨)

(٣) أسباب النزول ص ٦٨ .

(٤) الكهف الآية (٢٨)

ويمكن الاستفادة منهم فى أمور الدنيا فقط مع الحذر ان يكون ذلك نزيعة إلى الإضرار بالدين .

٩ - توليتهم أمراً من أمور المسلمين ، كالإمارة ، والكتابة وغيرها .

١٠ - مجالستهم والدخول عليهم وقت استهزائهم بآيات الله .

قال تعالى : (وقد نزل عليكم فى الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلاتقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره إنكم إذا مثلهم)^(١)

١١ - الرضا بأعمالهم والتشبه بهم ، والتزىي بزيمهم .

١٢ - معاونتهم على ظلمهم ، ونصرتهم .

١٣ - تعظيمهم وإطلاق الألقاب عليهم مثل السادة ، والحكماء .

١٤ - التآمر معهم وتنفيذ مخططاتهم ، والدخول فى أحلافهم وتنظيماتهم ، والتجسس من أجلهم ، ونقل عورات المسلمين وأسرارهم إليهم .

١٥ - الهروب من دار المسلمين إلى الحرب بغضا للمسلمين وحبا للكافرين .

١٦ - من انخرط فى الأحزاب العلمانية ، أو الإلحادية كالشيوعية والاشتراكية والقومية ، والماسونية ، وبذل لها الولاء والحب والنصرة .

(١) سورة النساء الآية (١٤٠) .

العقيدة وبقية جوانب الإسلام .

سبق أن ذكرنا أن الإيمان يزيد بالأعمال الصالحة ، وينقص بالمع والذنوب ، فهناك صلة بين العمل الصالح - الذى قديكون : خلقا ، أو عباد معاملة - وبين زيادة الإيمان ، وهناك صلة بين المعصية - التى قد خلقا ، أو تركا لعبادة : أو إساءة فيها ، أو معاملة - وبين ضعف الإيمان وهنا تفصل القول :

فأمور العقائد فى ذاتها مرتبطة ببعضها فالأساس الأول هو الإيمان وعليه يبنى الإيمان باليوم الآخر ، والملائكة ، والكتب ، والرسول ، والقدر . والعقيدة تتأثر بالأخلاق ، حسننها ، وسيئها ، فتزكو بالأولى ، وبالثانية .

قال - ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » (١)
وقال : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذى جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل أوليئمت . (٢)
فنرى مما سبق أن أمور العقيدة ارتبط بعضها ببعض ، وارتبطت بالأخلاق ، وتأثرت بها وجودا وعدما .

(١) أخرجه البخارى فى كتاب الإيمان ، باب من الإيمان أن يحب لأخيه إلخ . وأخرجه كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه (انظر التلويح (٢٨) / ١ / ١٠)

(٢) هذا الحديث أخرجه البخارى فى كتاب الأدب باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذى
وأخرجه مسلم فى كتاب الإيمان باب الحث على إكرام الجار والضيف وقول الخير . (انظر : (٢٩) / ١ / ٩٠ .

وكذا ارتبطت العقيدة بالعبادات على نحو ما أسفّلنا . وقد قال - ﷺ « إذا رأيتم الرجل يرتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان » ^(١)

وكثيرا مانجد الأمر بالعبادات وغيرها في القرآن موجها للمؤمنين .

وارتبطت الأخلاق كذلك بالعبادات ، وقد جاء في الحديث الإلهي : « ليس كل مصل يصلى إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتي ، ولم يستطل على خلقى ، ولم يبت مصراً على معصيتي ، وقطع نهاره في ذكرى ، ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة ، ورحم المصاب ، ذلك نوره كنور الشمس ، أكلوه بعزتي وأستحفظه ملائكتي ، أجعل له في الظلمة نورا ، وفي الجهالة حلما ، ومثله في خلقى كمثّل الفريوس في الجنة » ^(١)

وارتبطت العقيدة أيضا وتأثرت بالمعاملات .

فعن عائشة قالت : « ماغرت على امرأة ، ماغرت على خديجة ، ولما كنت أسمع يذكروها ، وإن كان ليذبح الشاة فيهدىها إلى خلّائها ، واستأذنت عليه أختها فارتاح إليها ، وبخلت عليه امرأة فهدى لها ، وأحسن السؤال عنها ، فلما خرجت قال : إنها كانت تاتينا أيام خديجة ، وإن حسن العهد من الإيمان » .
والخلاصة : أن دين الإسلام كله شيء واحد لا يتجزأ كالجسد الواحد . وهذا الجسد له أعضاء ، وجميعها يتأثر ببعضه ببعض .

(١) أخرجه أحمد ، والترمذي ، وابن ماجه والدارمي ، وابن منيع ، وابن مريويه عن أبي سعيد مرفوعا .

وقال الترمذي حسن غريب . وصححه ابن خزيمة ، وحبان ، والحاكم .

ولى لفظ : إذا رأيتم الرجل يلزم المسجد فلاتخرجوا أن تشهدوا له أنه مؤمن (كشف الخفاء : ١ /

٩٣ برقم (٢٣٥) .

(٢) أخرجه البزار .

الحقيقة وسط الذرائع إلى الشرك

إن العقيدة - الإيمان - أساس العمل ، فكما أنه لاعقيدة بدون عمل ، فإنه لا عمل بدون عقيدة . فهي من الأهمية بحيث أن كل عمل بدونها لاقيمة له في ميزان الإسلام .

وإن أخطر شيء حذر الإسلام منه الشرك ، إذ أنه ينسف الأعمال جميعاً . فقد قال الله تعالى : (ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) (١)

والشرك يتسلل إلى النفس تسلاً خفياً ، وفي صور مختلفة ، لذا حاط الإسلام العقيدة بسياس قوى يحميها من الضعف أو النقص ، ففرض فرائض ، وحد حدوداً ، وسن سنناً ، وشرع شرائع تقوى العقيدة وتثبتها في قلوب أصحابها ، كما ذكرنا ذلك في شعب الإيمان .

ويأتى القرآن ببيان صفات المؤمنين وأنهم (الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ، ومما رزقناهم ينفقون . أولئك هم المؤمنون حقا ، لهم درجات عند ربهم ومغفرة ودرز كريم) (٢)

ويأتى الأمر من الله سبحانه وتعالى للمؤمنين ، بالإيمان بالله .

قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله) (٣)

قال الإمام النيسابورى : أى اثبتوا على الإيمان بالله .

وقال الشيخ محمد الجاوى : (يا أيها الذين آمنوا) فى الماضى والمستقبل

(آمنوا) فى المستقبل (بالله ورسوله) (٤)

ولقد نهى الإسلام عن أمور يخشى أن تكون وسيلة وذريعة إلى الشرك ، حتى ولو لم تكن بذاتها شركاً ، ذلك لتبقى عقيدة المسلم صافية نقية لم تكثر أو تعرض للتكدير فى المستقبل ، ولو كان هذا المستقبل يشهده أجيال أخرى .

(٢) سورة الأنفال الآية (٢ : ٤) .

(١) سورة الزمر الآية (٦٥)

(٣) سورة النساء الآية (١٣٦)

(٤) التفسير المنير لمعالم التنزيل للشيخ الجاوى ، وبهامشه تفسير الوجيز فى تفسير القرآن العزيز

للنيسابورى ١ / ١٧٩ .

ففى الصحيح عن ابن عباس - رضى الله عنهما - فى قول الله تعالى :
 (وقالوا لاتذرن آلہتکم ولاتذرن ودا ولاسواعا ولايفوث ويعوق ونسرا) قال :
 هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى
 قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التى كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها
 بأسمائهم ، ففعلوا ، ولم تعبد ، حتى إذا هلك أولئك ، ونسى العلم عبادت .
 وقال ابن القيم : قال غير واحد من السلف : لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم
 صوروا تماثيلهم ، ثم طال عليهم الأمد فعبدهم (١)
 وإن للشيطان خطوات وهو لا يئس أبدا ، وإنما هو ملحاح بطئ اليأس ، فإن
 لم ينجح فى إيقاع المسلم فى الشرك أوقعه فى البدعة ، أو الكبيرة ثم يحاول
 إيقاعه فى الشرك بعد تهيئته وتحضيره .
 ولقد جاء النهى عن تصوير الصور ، واتخاذها ، وكذلك بيعها ، وشراؤها على
 وفق القاعدة :

ما حرم استعماله حرم اتخاذها .

والقاعدة : ما حرم أخذه حرم إعطاؤه . (٢)

قال فحج الحجة البالغة :

ومنها - المنهى عنه - صناعة التماثيل فى الثياب ، والجدران ، والأنماط ،
 فمنهى عنها النبى - ﷺ - ومدار النهى شيان :
 أحدهما : أنها أحد وجوه الإرفاء والزينة ، فإنهم كانوا يتفاخرون بها
 ويبدلون أموالا خطيرة فيها ، فكانت كالحرير ، وهذا المعنى موجود فى صورة
 الشجر وغيرها .

وثانيهما : أن المخامرة بالصور واتخاذها وجريان الرسم بالرغبة فيها يفتح
 باب عبادة الأصنام ، وينوء أمرها ، ويذكرها لأهلها ، ومانشأت عبادة الأصنام
 فى أكثر الطوائف إلا من هذه .
 قال : وهذا المعنى يختص بصورة الحيوان ، ولذلك أمر بقطع رأس التماثيل ،
 لتصير كهينة الشجر .

(١) الجامع الفريد / كتاب التوحيد للشيخ / محمد بن عبد الوهاب (ص : ٨٩)

(٢) الأشباه والنظائر فى قواعد وفروع فقه الشافعية للسيوطى (ص : ١٦٧) .
قال - ﷺ - « إن البيت الذى فيه الصورة ، ليتدخله الملائكة » .
وقال - ﷺ - : « كل مصور فى النار يجعل له بكل صورة صورها نفسا فيعذبه فى جهنم » .

وقال - ﷺ - : من صور صورة عذب وكلف أن ينفخ فيها وليس بنافخ » .
قال : لما كانت التصاوير فيها معنى الأصنام ، وقد تحقق فى الملأ الأعلى داعية غضب ولعن على الأصنام وعبدتها وجب أن يتنفر منها الملائكة ، وإذا حشر الناس يوم القيامة بأعمالهم تمثل عمل المصور بالنفوس التى تصورها فى نفسه وأراد محاكاتها فى عمله ، لأنها أقرب ما هنالك ، وظهر إقدامه على المحاكاه ، وسعيه أن يبلغ فيها غاية المدى فى صورة التكليف بأن ينفخ فيها الروح ، وليس بنافخ (١)

وهناك بعض صور متفق عليها بالحل ، وأخرى بالحرمة ، وثالثة مازالت محل خلاف بين العلماء ، ليس هذا موطن عرضها .

الغلو عند الصالحين ،

ومن باب سد الذرائع إلى الشرك ، جاء النهى عن الغلو فى الصالحين إطرأ ومحبة حتى الأنبياء .

وقد جاء فى الحديث : « لاتطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم ، إنما أنا عبد ، فقولوا : عبدالله ورسوله » أخرجاه فى الصحيحين .
وقد قال ﷺ : « إياكم والغلو ، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو » .

(١) حجة الله البالغة ص ١٩٢ ط . مصورة عن طبعة هندية سنة ١٣٥٥ هـ .

الذبح بمكان يذبح فيه لخير الله ،
ومن ذلك أيضا جاء النهى عن القيام بنسك أو عبادة بمكان يحدث فيه إشراك
بالله سبحانه وتعالى .

عن ثابت بن الضحاك - رضى الله عنه - قال : نذر رجل أن ينحر إبلا
ببوانة فسأل النبي - ﷺ - فقال : هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد ؟
قال : لا ، قال : فهل كان فيها عيد من أعيادهم ؟ قال : لا .
فقال رسول الله - ﷺ : « أوف بنذرك ، فإنه لا وفاء لنذر فى معصية الله
ولا فيما يملك ابن آدم » .

رواه أبو داود وإسناده على شرطهما (١)
فالحديث دل على أن اتخاذ أماكن الشرك والمعاصى لا يجوز أن يعبد الله
فيها . ومن الأمور المنهى عنها لكونها ذريعة إلى الشرك ، زيارة القبور على
غيره ، الوجه الشرعى ، كالتمسح بها ، والدعاء عندها ، رجاء قبوله ،
وإسراجها ، وبناء المساجد عليها .
ومن الأمور التى ينبغى الحيطة فيها جيداً (التوسل) وتمييز الشرعى من
غيره والمتفق عليه ، والمختلف فيه ، حتى يعبد الإنسان ربه حق العبادة دون
تفريط أو إفراط .

وفى ذلك كله كلام طويل ليس محل ذكره هذا المختصر إنما أردنا التنبيه
وكفى حتى نوفيه فى موضع آخر (٢)

وختاماً : أسأل الله تعالى أن يعلمنا ماينفعنا ، وأن ينفعنا بما علمنا ،
وأن يصحح عقيدتنا ، ويقوى إيماننا ...
وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

(١) الجامع الفريد / كتاب التوحيد ص ٦١ ، ٦٢ .

(٢) للمزيد فى مسألة التوسل يمكن مراجعة كتاب : قاعدة جلية فى التوسل والوسيلة لابن تيمية .

تحقيق : سالم محمود عبد الجليل ط . نهر النيل .

المراجع

- ١ - الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان .
- ٢ - الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية للسيوطي
- ٣ - أصول العقيدة الإسلامية للأستاذ /
عبدالمعظم صالح العلي العزى - الوفاء .
- ٤ - الإيمان أركانه ونواقضه د / محمد نعيم يس .
- ٥ - الإيمان والحياة د / يوسف القرطبي
- ٦ - التذكرة للقرطبي .
- ٧ - الترغيب والترهيب .
- ٨ - تعريف عام بدين الإسلام للشيخ علي الطنطاوي .
- ٩ - تفسير ابن كثير للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير
- ١٠ - تفسير القرطبي للإمام أبي عبد الله القرطبي .
- ١١ - التفسير المنير لمعالم التنزيل للشيخ الجاوي
- ١٢ - الجامع الصغير للإمام السيوطي .
- ١٣ - الجامع الفريد / شرح كتاب التوحيد للشيخ محمد
عيد الوهاب.
- ١٤ - الجداول الجامعة في العلوم النافعة / العقيدة .
- ١٥ - حجة الله البالغة لولي الله الدهلوي
- ١٦ - رساله العقائد للأستاذ حسن البنا .
- ١٧ - رياض الصالحين للإمام النووي .
- ١٨ - سنن أبي داود .
- ١٩ - سنن ابن ماجه .
- ٢٠ - سنن الترمذي
- ٢١ - سنن الدارمي .
- ٢٢ - سنن النسائي .
- ٢٣ - شرح الأربعين النووية للنووي
- ٢٤ - شرح العقيدة الطحاوية للإمام أبي العز الأزرعي .
- دار التوزيع والتشتر
- مكتبة وهبه .
- دار الجبل .
- دار التراث .
- مكتبة وهبه ..
- دار التراث .
- دار الشعب .
- دار القلم .
- الدعوة / الكويت .
- دار الشهاب
- دار الريان .
- عيسى الحلبي .
- مصطفى الحلبي .
- الريان .
- الريان .
- الشعرلي
- دار التراث .

- ٢٥ - شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية
تأليف / محمد خليل هراس .
- ٢٦ - صحيح البخارى
٢٧ - صحيح مسلم تحقيق فؤاد عبدالباقى
٢٨ - العقائد الإسلامية للشيخ سيد سابق .
٢٩ - عقيدة المسلم للشيخ محمد الغزالي .
٣٠ - العقيدة وآثرها فى بناء الجيل .
د عبدالله عزام
- ٣١ - فتح البارى .
٣٢ - الفتوحات الإلهية
(حاشية الجمل على تفسير الجلالين)
- ٣٣ - فى ظلال القرآن للأستاذ / سيد قطب .
٣٤ - قبسات من الرسول للأستاذ / محمد قطب .
٣٥ - كشف الخفاء ومزيل الالتباس للامام العجلونى .
٣٦ - الكلم الطيب لابن تيمية .
- ٣٧ - اللؤلؤ والمرجان للأستاذ محمد فؤاد عبدالباقى .
٣٨ - الله فى العقيدة الإسلامية . للأستاذ حسن النبا .
٣٩ - مبادئ الإسلام للأستاذ / أبى الأعلى المودودى .
٤٠ - مجموع فتاوى ابن تيمية .
- ٤١ - مدارج السالكين .
٤٢ - مفتاح كنوز السنة .
٤٣ - النهاية فى الفتن والملاحم لابن كثير .
٤٤ - نور اليقين للشيخ محمد الحضرى
٤٥ - الوجيز فى تفسير القرآن العزيز للنيسابورى .
٤٦ - الولاء والبراء للتحطاني .
- دارادارة البحوث العلمية والافتاء والدعوة
والارشاد بالسعودية
- عيسى الحلبي .
- عيسى الحلبي .
- دار الكتب الإسلامية .
- دار التراث الإسلامية .
- دار الإسراء
- الريان .
- عيسى الحلبي .
- دار الشروق .
- مؤسسة الرسالة .
- مؤسسة الرسالة .
- عيسى الحلبي .
- دار الشهاب .
- التراث الاسلامى .
- مطابع الرياض بالسعودية .
- دار ترجمان السنة .
- مكتبة المنار
- مكتبة النور الإسلامية .

محتويات الكتاب

٥١	الإيمان باليوم الآخر	٣	المقدمة
٥٦	مقدمات يوم القيامة	٦	عقيدة الإسلام
٥٦	العلامات الصغرى	٩	شعب الإيمان (جدول)
٥٧	العلامات الكبرى	١١	أركان الإيمان
٥٩	الشفاعة	١٦	فاعلم أنه لا الله إلا الله
٦٠	بعض مشاهد يوم القيامة	٢١	أسماء الله تعالى والأحكام المتعلقة بها
٦٢	الحوض	٢٢	اسم الله الأعظم
٦٣	الحساب	٢٤	الدعاء والحلف باسم الله تعالى
٦٣	الصراط	٢٥	صفات الله تعالى
٦٤	الميزان	٢٥	وجود الله
٦٥	الجنة والنار	٢٥	قدمه وبقائه
٦٨	الإيمان بالملائكة	٢٦	مخالفته للحوادث
٧١	آثر الإيمان بالملائكة	٢٧	قيامه بنفسه
٧٢	الإيمان بالكتب	٢٧	وحدانيته
٧٤	القرآن الكريم كتاب الخلود	٣١	قدرته
٧٤	آثر الإيمان بالكتب	٣١	إرادته
٧٥	الإيمان بالرسول	٣٣	علمه
٧٧	عصمتهم	٣٣	حياته
٧٧	رسالة محمد إلى البشرية جميعا	٣٤	تأملات في آية الكرسي
٧٨	واجبنا نحوهم	٣٥	سمعه وبصره
٨١	الإيمان بالقضاء والقدر	٣٦	كلامه
٨٦	مراتب الإيمان بالقضاء والقدر	٣٧	آثر الإيمان بالله
٨٨	شبهات وردود	٤٠	أشياء متنافية للتوحيد
٩٢	ثمار الإيمان بالقضاء والقدر	٤٠	الشرك بالله
٩٤	أحكام متعلقة بالقضاء والقدر	٤٣	السحر
٩٥	لا إكراه في الدين	٤٤	إدعاء معرفة الغيب
٩٧	هيبة العقيدة وحد الردة	٤٦	التوجه بالعبادة لغير وجه الله
٩٨	الموالاة والمعاداة	٤٨	الرقى والتمايم ونحوهما
١٠٤	العقيدة وبقية جوانب الإسلام		
١٠٦	العقيدة وسد الذرائع إلى الشرك		
١١٠	مراجع		
١١٢	محتويات الكتاب		

[هذا الكتاب]

- * يتناول بيان العقيدة الإسلامية بعبارات سهلة، يدركها كل من أراد فهم عقيدته، دون خوض فى أقوال الفرق المختلفة .
- * ربط الاعتقاد الباطن بالعمل الظاهر مع بيان سمات هذه العقيدة وعرض لشعب الإيمان .
- * شرح أسماء الله الحسنى، وصفاته العليا بما يمكن القارئ من حسن التعرف على ربه وخالقه سبحانه وتعالى، مع التعليق على كثير من الآيات القرآنية .
- * عرض الأثر العملى والثمرة لكل ركن من أركان الإيمان، وبيان الأمور التى تخل بعقيدة الإنسان فتتقضها أو تضعفها .
- * عرض لأمر متعلقة بالإيمان ك (لا إكراه فى الدين، وهيبة العقيدة وحمايتها من المفسدين، والموالة والمعادة، وصلة العقيدة بجوانب الإسلام الأخرى، والروح، والجن، ضوابط محبة الصالحين وغيرها من مباحث قيمة .
- * ويكفى أنه خلاصة لعدد من كتب العقيدة فى هذا الحجم

Bibliotheca Alexandrina



0495281



رقم الإيداع ٩٤/١٨٠٤
I.S.B.N. 977 00 - 6447 - 5